
الفوارس
قطبة بن سنان
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة

قصص حكايات

الفوارس

٨

جمال شاهين

١٩٩٤

قطبة بن سنان

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

قصص وحكايات الفوارس

جمال شاهين

قطبة بن سنان


قطبة بن سنان

قطبة يودع الدنيا

قطبة شيخ كبير يجلس على فراش الموت في ليلة معتمة شديدة البرودة ، وذات أمطار غزيرة ، وفي وسط البيت موقد النار ، تكاد ناره أن تخمد أنفاسها الأخيرة مع ساعات ليل طويلة ، هذا الشيخ الهرم الذي يجلس على فراش الموت ، وحوله أبناؤه مالك وسالك وأختهم نازك ، فكان الرجل المحتضر يقول لهم في تلك الليلة الباردة التى لا تنسى وصيته الأخيرة ـ وهم قد أسندوه على الوسائد المريحة، يستمعون وصاياه الأخيرة ـ فيقول : يا أولادي ! النهاية قد أقبلت ، وكأس الموت لابد من شربها اليوم أو غدا ، لا مفر من



الموت ،وعندي كلام أحب أن تعقلوه عني ؛ لعله ينفعكم في دنياكم.. فأنا خبرت الدنيا ، وعاشرت الإنس والجآن .. فالحياة الدنيا متاع زائل ، والأصحاب الأخلاء فيها قليلون ، وأنتم لا تعرفون عن أبيكم كثيرا من الأخبار ، ومن يعش منكم فسوف يسمع الكثير ، فلا تحزنوا وتأسفوا على ما سمعتم ؛ ولكن حسنوا من حياتكم وكونوا خيرا مني ، فكما تعلمون يا أولادي أنا تزوجت أمكم بعدما كبرت ودار بي الزمان، فأنجبتكم لي ، ورعتكم حق الرعاية حتى أتاها أجلها ، وانتقلت لدار الآخرة بما كسبت من الخير .. والصبر على أذى هذا الرجل الهرم قطبة ، فلعلها سامحتني ، فهي قد ماتت وأنا بعيد عنها .. وها أنا استعد للرحيل إليها .. فيا أولادي عندما أموت تقومون بدفني حسب الأصول والتقاليد ولا تبكوا على أبيكم قطبة بن سنان ؛ ولكن أوصيكم بفعل الخير والعمل الطيب ، وترك القبيح ، والحذر من الصديق السيئ الحسود فأحسنوا اختيار الخلان .. وبعد دفني أيها السادة اذهبوا إلى البئر المهجورة في أقصى البستان، وفي قعرها صخرة وهناك تحت الصخرة تجدون جرة فخارية محكمة الإغلاق ، فتخرجونها وتحضرونها الحجرة التي سأموت فيها ، ثم تفتحونها بعد ذكر اسم الرحمن في ساعة السحر ، وحذار أن يراكم أحد من أهل البلدة مهما كان لكم صديقا ، واحذروا أن تتكلموا بما فيها أمام الخلق ، فاكتموا سرها حتى تجنوا الثمار ، والآن انتبهوا لم أقول حتى لا تخسروا ما استطعت

تحصيله لكم بعد كل هذه السنين من الترحال في الأقطار .. من المهم أن تخرجوا الجرة من تحت صخرة البئر المهجورة ، وفي السحر وفي هذا المكان تذكرون اسم الرحمن ، وتفتحون الجرة ، ولسوف تجدون المال الذي جمعته لكم مع الأيام ، وستجدون معه صندوقين صغيرين جميلين ، وهما مقفلان، وكل صندوق معه مفتاحه ، فالصندوق الأحمر لمالك والصندوق الأخضر لسالك لا تنسيا ذلك، فاقتسما الذهب والمال بينكما بالتساوي ، ولا تعطوا نازكا منه شيئا ؛ ولكن احسنوا رعايتها ، وأكرموها غاية الإكرام والإحسان، ولا تبخلوا عليها بشيء مهما صغر، وأما الصناديق فلا تفتحوها حتى تتزوج أختكم ، فبعد سنة من زواجها يحق لكم فتحها، لا تنسوا ذلك يا أولاد ، ومن فتح صندوقه قبل ذلك الموعد يخسر ما فيه، ويندم على ما فرط وقصر ..

وبعدما التقط قطبة نفسا عميقا قال : وأما أنت يا ابنتي نازك فلم أنسك يا بنية ، فعلى وسطى حزام جميل ، وفيه خير وفير، فهو لك ، فإذا مت فالبسيه ولا تتخلي عنه في ليل ولا نهار ، ولا في بيت ولا حمام ، فهو حزام يحميك من أذى الشياطين والجآن ، فحافظي عليه واحذري أن يسرق منك ، فموتي قبل أن تفقديه ، واسمعوا ما أقول لكم الآن .. فلسوف يأتيكم رجل مهما طال الزمن ، وسوف يكون معه خطاب، فاحسنوا إكرامه مهما فعل وأساء إليكم ، ولا تقابلوا الإساءة بالإساءة بل الإساءة بالإحسان ، وهذا الخطاب مني عليه ختمي واسمي ، وقبل أن يرحل سوف يخطب منكم أختكم ، فإليه زوجوها ..

والتفت لابنته قائلا : هذا الرجل يتزوجك يا بنية! فأنا وهبتك إياه فارضيه، وهو سوف يروي ويذكر لك القصة في يوم من الأيام .. مهما كان بشعا وقبيحا فوافقي عليه، لا تنفري منه ، ولن تندمي ، وإن طلب منك ترك الحزام فارفضي، وقولي والدي قطبة بن سنان أوصاني بذلك ، وعاهدته على ذلك ، فسوف يترك هذا الأمر ، فاصبري يا نازك على قسوته وآذاه فهو يختبرك .

والتفت إلى الأولاد متابعا: المهم لا تزوجوها إلا له ، ولا تذكروا أمامه الصناديق ، وأنت يا نازك كأنك لم تسمعي بها .. ولا تزوجوها لأحد غيره ، فلو أتاكم خاطب أمير أو ملك أو غني أو فقير لا تنكحوها إلا للذي يأتيكم بخطابي ، ذلك الرجل الغريب ، وبعد زواج أختكم بسنة

افتحوا صناديقكم .. وفي الختام دعوا أختكم ترحل معه ، فإن فعلتم ما ذكرته لكم سعدتم وبعد عنكم الشر، وإن خالفتم ندمتم وتعبتم وخسرتم ، وحافظوا على بعضكم ، ولا تخسروا بعضكم، وتعاونوا على ما وهبتكم تعيشون سعداء ، ولا ترددوا على مجالس السلاطين، فيطمعون بما أوتيتم، ومرة أخيرة أقول لكم كونوا معا ، وساعدوا بعضكم بعضا ، ولا تفترقوا ولا تنسوا أختكم .. وتصدقوا عني بالأموال.. وداعا يا أولادي وسلام الله عليكم .

مع الفجر كان قطبة بن سنان يلفظ نفسه الأخير ، وكذلك النار قد لفظت نفسها الأخير، وخيم السكون على البيت ، وكانت الدموع تنساب على خدود الجميع مخرجة للحزن على فراق الأب رغم ما قاسوه منه في سالف الأيام ، ولما أشرقت الشمس ضعيفة؛ ولكنها معلنة بداية بزوغ فجر جديد .. واسى الاخوة أنفسهم ، وذهب مالك للسوق واشترى الكفن اللائق بأبيه ، وأخبر الأهل والجيران بالمصيبة ، وقبل أن تغيب شمس ذلك النهار كان القوم قد واروا قطبة الثرى ، وأصبح من سكان الدار الآخرة .

وتزنرت نازك بنت قطبة بحزام قطبة العجيب كما أوصاها الوالد ، واستمر الحزن والأسف سبعة أيام ، وحضر الأصدقاء وأخرجوهم من بيت الأحزان ، وذكروا لهم أن هذه الدنيا ما عليها أمان ، وذهب مالك إلى عمله مع تاجر الليف والحبال، وسالك إلى عمله مع الحداد كروان وكانا يعودان في المساء فيجدان أختهما قد أعدت لهم الطعام ، كما تعودا على ذلك منذ وفاة أمهما سروة ، بعد حين ذكروا أمر البئر ، وما سمعوه من والدهم من الكلام فقال مالك : سننظر هذه البئر المهجورة ، فلابد أنها ممتلئة بالأفاعي والعقارب.. فكيف سندخل فيها فهي عميقة ؟

فقال سالك : فكرت بالأمر .. نشتري حبلا من عند التاجر فروة ، ولابد من نزول أحدنا حتى لا ينكشف سرنا أو ينزل كلانا لنتعاون على إزاحة الصخرة.. ولسوف احضر قدوما أو فأسا من عند المعلم كروان، وتساءل قائلا: كيف دفنها أبونا هناك؟! كيف كان ذلك ؟!

احضرا ما يلزمهما لنزول البئر المهجورة وأغلقوا بوابة المنزل والبستان بشكل جيد ، وكان كل منهما ترخص من معلمه في غياب ذلك النهار ، ومع ضحى النهار كانوا يجلسون بالقرب من

حافة البئر، وقد أزاحوا من حولها الأعشاب، واتفقوا على أن ينزل سالك ؛ وذلك بعدما ثبتا طرف الحبل بوتد قوي وعقدوه فيه بقوة ، وقبل أن يتدلى سالك سمعوا صراخا عند بوابة البيت فأصغى مالك وقال : هذا صوت ابن عمنا بوصة ما الذي أتى به بمثل هذا الوقت ؟! فهو يعرف أننا نكون في العمل في مثل هذه الساعة!

فقال سالك : لنترك المكان ونرى ما يريد ؟ وتركوا الحبل المربوط حول البئر، وأسرعوا إليه ، وفتح له مالك الباب ، فدخل بوصة بسرعة وهو يقول : ما الأمر لماذا تغلقون الباب؟! .. هذه أول مرة أرى بابكم يغلق في النهار أنتم في كثير من الليالي لا تفعلونها هل من شيء يا مالك ؟



تضاحك مالك وقال : أبدا أبدا لا شيء ، ما الذي أتى بك علينا هذا الصباح ؟!

فقال بوصة: سألت المعلم فروة عنك فاخبرني أنك طلبت استراحة هذا النهار، فعجبت ، وأتيت أسأل عنك.. فإني أرى سالك أيضا في البيت ما الخطب أيها الأخ العزيز ؟!

فقال مالك ونبرة غضب في صوته : لا شيء يا ابن العم .. اتفقت أنا وسالك أن نترك العمل يوما أو بضعة أيام لنساعد اختنا نازكا بزراعة البستان وحراثته وإزالة الأعشاب والأوساخ منه وكانا قد وصلا لمدخل البيت حيث الحجرات فرحب به سالك قائلا : أهلا ببوصة .. هل من أمر ؟

رد مالك : بوصة قلق عليّ ؛ لأنني تركت العمل اليوم مع المعلم فروة ، فظن أن وراء غيابي شأنا ولما لمحك أمام البيت زادت دهشته لوجودك معنا في البيت فأعلمته أننا أخذنا إجازة لتدبير شأن البستان والأرض ومساعدة أختنا نازك في حرثه وزرعه وتشذيب أشجاره .

وبالحيلة استطاعوا أن يتخلصوا من ابن عمهم بوصة ، وصرفوه بالتي هي أحسن ، ثم عادوا للبئر ، وقبل أن يتدلى سالك طرق البيت متسول ، فتطيروا وذهب مالك وأعطاه رغيفا، وصرفه وهو يشتم ويلعن، وبينما سالك ينزل رويدا رويدا سمعوا صوتا ينادي على نازك ، فسحبه من

جديد وقال مالك : يبدو أن العمل في وضح النهار غير مناسب فلنعد للبيت حتى المساء .. فالبرد والريح تشتد .

فعادوا للبيت ، وكانت نازك قد سبقتهم ؛ فإذا عجوز جارتهم تريد الحديث مع نازك، فهي تتردد عليهم في العادة فرحبوا بها ، ودخل الشابان لحجرتها يستريحان ويدفئون المكان ، وفي المساء ـ بعدما انصرفت العجوز، وقد شاركتهم طعام الغذاء ـ ارتفع تساقط الأمطار فأجلوا العمل ليوم آخر ، ومكث الشتاء أياما فلم يتمكنوا من الذهاب للبئر ، وذات يوم أتاهم ابن عمهم الكبير سدرة يسأل عن أخيه بوصة ، فذكروا له أنهم رأوه منذ أيام خلت ومن بعدها ما شاهدوه فذكر لهم سدرة أنه منذ يومين اختفى ، ولم يرجع للبيت ، ولم يقل لنا أين ذهب ؟ ولكن أحد أصدقائه ذكر لنا أنه نزل في بئركم المهجورة ، ثم ختم كلامه قائلا : فظننت أنكم تعلمون ذلك فصاح مالك : البئر .. ولماذا البئر المهجورة ؟!

انزعج الاخوة الثلاثة من كلام سدرة وأخذوا ابن عمهم نحو البئر المهجورة على مضض وغيظ ونادوا على بوصة من باب البئر فلا صوت ، فأشعلوا نارا على خشبة ونظر سدرة ثم قال : أشم رائحة قبيحة قد يكون هناك شخص ميت في داخلها ، فنادى بصوت عال ثم قال : لماذا هذا الحبل مدلى يا مالك ؟!

فكأنهم انتبهوا للحبل الساقط في البئر فقال مالك بغضب : قررنا تخزين الماء في هذه البئر ، فاشترينا هذا الحبل منذ أيام ؛ ولكننا مع الشتاء والريح لم نتمكن من العناية بالبئر.. والآن كيف سنبحث عن بوصة؟ .. فليأت صديقه الذي ذكر لك أنه نزل البئر ويخرجه .. ونسمع حكايتهم مع هذه البئر .

وفي صباح اليوم التالي أتى صاحب بوصة سورة ، وبعض الأصدقاء إلى منزل قطبة، فقال صاحب بوصة للجميع : جاءني بوصة قبل أيام ، وذكر لي أن في البئر ذهبا وكنزا لعمه قطبة، وأنه رأى أولاد عمه حول البئر، وأنهم وضعوا حبلا طويلا للنزول في البئر ، وفأسا للحفر عن الكنز الدفين ، فلما أتاني وأطلعني على الخطب، وأنه اكتشف أنكم تحاولون إخراج الكنز،

وأخفيتم الأمر عنه، فطلب مساعدتي للنزول لجوف البئر الجافة ، فحضرنا قبل ثلاثة أيام مع ساعات الفجر الأولى ، ونزل بوصة بمساعدتي ؛ ولكن فجاءة انقطع صوته ، فناديت عليه فلا جواب، فتركت المكان هاربا وخائفا وحائرا ، وأحضرت بعد الأصدقاء في اليوم التالي، وحاولت النزول ولكني خفت بعدما تدليت للنصف ، وناديت على بوصة ، فلم أسمع صوتا فصرخت أخرجوني فأخرجوني إلى أن جئت يا سدرة وسألتني .. فلابد أنه هلك في قاع البئر

انزعج الاخوة لهذا الحادث كثيرا ، وخشوا على ضياع كنزهم فقال مالك : إذن بوصة مات في قاع البئر ..حسنا هيا نخرجه .. أخرجوه وإذا وجدتم كنزا فخذوه يا إخوان.. نحن عندما أتينا بالحبل والفأس ليس ذلك لإخراج الكنز من بئر مهجورة ولو كان فيه كنز فهو من حقنا أولا وأخيرا .. نحن أردنا ملئها بماء المطر حتى تقوم اختنا نازك بزراعة البستان وسقيها بماء البئر.. فالبئر الأخرى صغيرة .. ونشرب من مائها ولا تساعدنا في السقي والزرع .. وقد ذكرنا هذا الكلام أمام بوصة ولم نذكر له كنزا وذهبا .

ذهب بعضهم واستأجر رجلين للنزول في جوف البئر ، واحضروا حبلا ثانيا ، وقد اتفقوا أن يتدلى الرجلان معا أحدهما يحمل مشعلا والآخر ليقوم بربط الجثة بأحد الحبلين، ويتعلق الاثنان بالحبل الثاني ، ونزل الرجلان معا ، وكانت النار قد بددت ظلام البئر ، ووصلا لقاع البئر ، فوجدا جثة بوصة منفوخة ورائحة كريهة ، فقاما بربطه بالحبل ، وقام الآخرون بسحبه وسحب، فلما خرجوا من البئر سألهم مالك : هل وجدتم عقارب وأفاعي في البئر ؟

فقال أحد العاملين : لا .. البئر نظيفة من الحشرات الكبيرة ، ولم نر سوى بضع حشرات صغيرة تزحف على جدران البئر .

فقال مالك ثانية : ولكن كيف مات هذا الرجل فيها ؟!

فقال أحد الرجلين بعد تقليب الجثة ، ولم يجدوا مكان أي ضرب أو سقوط : لابد أنه اختنق من قلة الهواء أو شيء آخر .

فقال سالك : هل وجدتم شيئا مهما في قاع البئر ذهبا مالا كنزا ؟!

فرد الرجل الآخر : البئر خاوية ، لا شيء فيها حتى نبته لا توجد بقاعها .

فقال مالك : نزل هذا الفتى ليستخرج كنزا أو ذهبا من قاع البئر .

فقال أحد الرجلين : لا يوجد في قاعها إلى التراب.. ضيع المسكين نفسه وروحه .

بعدما انتهوا من دفن بوصة اجتمع الاخوة الثلاثة للتفكير في شأن البئر وكيف سيخرجون الجرة التي حدثهم عنها أبوهم قطبة ؟

فقال سالك : الذي يحيرني كيف دفنها أبونا في البئر ؟! وهو رجل كبير كيف كان يهبط ويضع المال فيها ؟!.. أم أن أحدا فعل له ذلك ومتى دفنها؟! هذه البئر موجودة من قبل أن نولد ، وهي مهجورة من قبل نرى الدنيا .

فردت نازك على أخيها قائلة : ولكن الوالد كان يهتم بها كثيرا ..ولا أذكر أنه أتى من سفر أو رحلة إلا وزار البئر واشتغل قريبا منه .

فقال سالك : بحثت في أغراض والدي، فلم أجد حبلا واحدا عنده ، فكيف كان ينزل للبئر ؟!

فقال مالك وهو يفكر : قد يكون لها مدخل آخر فلنبحث في البستان .

صاح سالك : هذا هو الصواب..لابد أن للبئر مدخلا خفيا عن الأنظار .. ولابد أن يكون بين الأعشاب والشجر .

فقالت نازك محذرة : لنصبر حتى ينسى الناس قصة البئر .. فالناس تعشق قصص الكنوز والذهب .

فأيد مالك كلامها فقال : نعم القول ما تقولين يا نازك! .. فلنصبر فلابد من الصبر حتى لا ينكشف أمر الجرة التي يحاشرنا بها الناس أو يسمع بنا حضرة السلطان فنخسر المال والصناديق المجهولة .

كان الأخوان يمارسان العمل كالمعتاد ، وانشغل بال نازك بما سمعت من كلام أخويها حول المدخل الخفي لهذه البئر المهجورة ، وأدركت إدراكا تاما أنه لا يمكن للأب أن ينزل للبئر العميق بواسطة الحبل ، فصممت في قرار نفسها أن تبحث هي عن هذا المدخل خفية عن أخويها ، وقد

اجتهد الأخوان الاندماج في شغلهما ونسيان قصة هلاك بوصة الغامض ، وعندما يتحدث أحد أمامهما عن البئر والكنز وموت بوصة والجن والعفاريت لا يجد عندهما جوابا ، بل يغيران الموضوع والحديث إلى أن كان ذات ليلة بعدما تناول الأشقاء الثلاثة طعام العشاء ، قالت لهم نازك إنها وجدت في شجرة ضخمة تجويف غريب ، ويستطيع أن يدخل فيه إنسان نحيف البدن وأرشدتهم إلى تلك الشجرة ، ومع الفجر كانوا بجوارها دخل سالك في جوف الشجرة ؛ فإذا به يهبط إلى درجة ثم أخرى فعاد يقول لاخوته همسا : يبدو أن هذا مدخل لسرداب .. فليذهب أحدكم إلى البئر وينتظرني .. لابد من المغامرة ، فهذه أشياء نكتشفها أول مرة !

دخل سالك تجويف الشجرة مرة ثانية ، ونزل بضع درجات ، ثم هبط على الأرض بعد نزول درجات على شكل حلزوني ، ثم وصل لسرداب لا يستطيع الشخص الوقوف فيه ، فهمس وهو يحني قامته " لابد من المغامرة ، فهذا سرداب يسير نحو البئر .. هذا أحد أسرار قطبة بن سنان " .. فمشى عشرات الخطوات، فإذا هو فعلا في فتحة تطل على البئر ، فدلى نفسه منها ، فإذا هو في قاع البئر، فنادى فسمع صوت نازك ترد عليه.. كانت البئر شديدة الظلام ، وكان يسمع حركات بعض الحيوانات الصغيرة كالجرذ في السرداب ، فعاد لاخوته وقد تعفر بالتراب والأوساخ والعرق ، وكانوا ينتظرونه على أحر من الجمر والقلق ، فأعادوا الأعشاب حول جوف الشجرة الضخمة ، ودخلوا البيت وهم فرحون لهذا الاكتشاف.

وقال سالك : هكذا كان والدنا يدخل هذه البئر ؛ ولكن متى تم إنشاء هذا السرداب ؟

فقال مالك : لابد أن يكون ذلك قبل وجودنا على الدنيا من زمن طويل ، فها هي نازك ابنة البيت الدائمة ولم تعرف به إلا أمس .

فقالت نازك : ما فكرت بمثل هذا الأمر .. كان قطبة عندما يعود من رحلاته الطويلة يقضي أياما في العمل في البستان، وحول تلك الشجرة والمكان.. فكنت أعتقد أنه مهتم بالحفر حول الأشجار ورعايتها فحسب ؛ ولكن لما سمعت كلامكما تلك الليلة عن الطريقة التي كان يدخل بها الأب البئر أخذت أفكر وأتذكر أفعال أبينا في البستان والأرض.. وأخذت بالبحث دون

علمكما حتى وجدت ذلك التجويف في جذع الشجرة الضخمة ، فوقع في نفسي أنه مدخل سري لنفق .

فقال مالك : لنحافظ على هذا السر الجديد أيها الأعزاء .. ولكن كيف مات بوصة ؟! ومن قتله؟! لم يقتل بقرصة ثعبان أو عقرب ، ولم يختنق لأن السرداب يمنع الاختناق ، وسالك لم يختنق .. هل وصل للجرة وغدر به سورة وقتله خنقا ؟ ولكن كيف يخنقه وهو في أسفل البئر وسورة في أعلاه ؟!

فقال سالك : هذا ما أفكر فيه ! .. مات والدنا ، وحمل كثيرا من أسرار حياته الغامضة معه هيا للعمل ، واكتمي الأمر يا اختنا العزيزة حتى نتدبر شأننا ونستخرج كنز أبينا .

وأثناء النهار أتى رجال الشرطة رجال السلطان يسألون عن مالك وسالك، فذكرت لهم نازك مكان عملهما، فانقسم الرجال فريقين مجموعة ذهبت حيث يعمل مالك عند صانع الألياف والحبال فروة ، والأخرى إلى سالك الحداد العامل عند كروان الحداد ، وساقوهما إلى رئيسهما الزعيم جبرا ، ولما مثلا بين يديه قال لهما : أيها الأخوان علمنا بأن عندكم في البئر المهجورة كنزا وقد هلك فيها أحد الناس .

فذكر مالك قصة بوصة للزعيم جبرا ، فلما انتهى الشاب من القص قال جبرا : الملك الكبير مهتم بالأمر ، وهو مستعد للحصول على الكنز بأي ثمن ..

فقطع سالك كلام الزعيم فقال : يا سيدي الزعيم .. هذه البئر أمامكم فإذا كان فيها كنز ، كما تزعمون فخذوه فهي بئر عميقة ومهجورة .. وصدق أننا لم نخرج منها كنزا ولا ذهبا .. فهذا البيت أيضا أمامك .. فاذهبوا وتأكدوا بأنفسكم .. نحن قوم أحدنا يعمل حدادا والآخر عند جدال الحبال .. لو كان لدينا كنز لتزوجنا وتركنا العمل الشاق وعملنا لأنفسنا دكاكين كبيرة

فقال الزعيم جبرا : على رسلك أيها الشاب.. سنذهب ببعض الرجال وننظر هذه البئر .. لعلنا نخرج نحن كنزها إذا كنتما خائفين عن اقتحامها .

استسلم الشابان لأمر الزعيم جبرا وقال مالك: افعلوا ما شئتم.. فنحن في انتظاركم .

فرد الزعيم : صبرا .. سنذهب معا فهذه رغبة الملك الكبير .

وكما بدا للشابين كان الزعيم جبرا قد هيئ الرجال لهذا الشأن ؛ وكأنه كان ينتظر موافقتهما فحسب، فحزن الشابان لضياع الكنز وقال مالك لنفسه بحزن وأسف: إن كان لنا فيه رزق فلابد أنهم سيفشلون..وإن لم يكن لنا فيه رزق ونصيب فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومثل هذا الكلام كان يدور في خلد سالك الشقيق الأصغر ، فسار الزعيم ومعه أعوانه ومعم مالك وسالك إلى البئر المهجورة ، فوجدوا الحبال ما زالت موجودة فيها ، لم يحاول الشابان رفعها ، فقام رجلان بتثبيت نفسيهما فيهما ، وبدأ الآخرون يدلونهما قليلا قليلا، واصطف الآخرون يحدقون في البئر وإلى الرجلين الهابطين إلى قعرها ، وبعد وصول الرجل الذي يحمل المشعل إلى نصفه انطفأ نوره ، فأصبحا يعتمدان على نور الشمس والنهار ، ثم اشتد الظلام وأخذ الرجلان بالصراخ ويطلبون الخروج ، فأخرجوهما بسرعة ، فخرجا وهما يرتجفان من الرعب فصاح فيهما جبرا : ويلكما ما خطبكما ؟!

فقال أحدهم : النار اطفئت والظلام حالك .. وفي البئر أصوات غريبة ؛ كأنها أصوات جن وعفاريت تسكن في هذه البئر يا سيدي الزعيم .

فضحك الزعيم ورجاله وصاح فيهما : ما هذا الكلام الفارغ ؟!.. هذا جبن وخوف فلينزل غيرهما !

فقام آخران بالنزول ، ولما اقتربا من نصف البئر انطفأ الموقد، وأخذا بالصياح والصراخ ودب فيهما الخوف ، فأمر جبرا الرجال بالاستمرار في تدليتهما لقاع البئر، وزاد صراخهما حتى استقرا على أرض البئر، فلم يعد يسمع لهم صوت وخمد صراخهما ، فسحبوا الحبال فإذا هي خاوية من الرجلين ، فتبادل الجميع النظرات ثم قال جبرا لمالك : ما الأمر ؟! ألم تقل لي إن رجلين دخلا لإخراج جثة بوصة من قاع البئر ؟ كيف فعلتم ؟!

فأعاد مالك قصة بوصة وموته وإخراج جثته ، فأتوا بسدرة ثم ذهب سدرة وأتى بالرجلين الذين أخرجا جثة بوصة، فأتوا فنزلوا البئر وأخرجوا الرجلين فوجدوهما منهكين من الضرب

ويكادان يشرفان على الموت ، فعجب القوم من حالتهم، فأمر الزعيم بإعادتهم لبيوتهم ويقوم الطبيب على مداواتهم ، ثم خاطب الزعيم جبرا الرجلين اللذين اخرجا المضروبين قائلا : يوجد في هذه البئر سر .. كنز ما رأيكما بالنزول والبحث عنه ولكما ما شئتما ؟

فأظهرا الخوف والجزع ، وأنهما يخشيان من العفاريت التي تحمي الكنز والتعرض لهما بالصفع والضرب كما حصل مع هذين الرجلين ، وبعد تمنع رفض جبرا اعتذاراهما فربطوهما بالحبال ثم دلوهما مرة أخرى ، وبعد حين سمعا صراخهما وصياحهما فأخرجوها فكانا منهكين القوى ووجوههما صفراء من الخوف والرعب فقال الزعيم : هذا يؤكد أن بداخلها كنزا عظيما وأنها بئر مسحورة .. على كل حال سنفكر بالعودة مرة أخرى أيها الرجال .. فكوا هذه الحبال ، وخذوها معكم لا تبقوها هنا .. ففيها خطر على الشباب مالك وسالك .

فقال مالك : افعلوا ما شئتم أيها السادة .. ما تقولون بشراء هذه البيت ؟! .. فذلك الأمر يزعجنا ونخشى أن تؤذينا العفاريت بعدما انكشف سر ها ؟

فقال جبرا ملوحا بالتهديد : تمهلا في الأمر وسوف نفكر بعرضكم .

أخذ جبرا رجاله وابتعد عن المنزل ، وهو في غيظ شديد من فشله، وعدم استيلائه على الكنز ، وكانت نازك وبعض الجارات يتابعن الأمر عن بعد ، فلما عادوا قال مالك لهنّ : إنهم يبحثون عن كنز مخبوءة في البئر؛ ولكن الجن والعفاريت منعتهم من الوصول إليه .

وقص على مسامع الجميع ما حصل وحدث للرجال الأربعة الذي نزلوا في جوف البئر المهجورة ، ولما انصرف الناس وجلا من حديث الجن والضرب والصفع والخنق ، قال مالك : أمر هذه البئر محير وغريب .. فمن ينزل للاستيلاء على الكنز يتعرض للأذى! ومن ينزل للإنقاذ لا يصيبه شيء؟! .. بوصة دخل لأخذ الكنز فمات مخنوقا بداخلها ؛ لأنه لم يجد من ينقذه ويخرجه فهلك ، فلما قام الرجلان بإخراجه لم يصبهما شيء .. أنت يا سالك دخلت البئر للمعرفة فلم يصيبوك بشيء .. فلما دخل رجلا الزعيم جبرا للنيل من الكنز تعرضا للضرب واللطم، وكادا أن يموتا ، فجاء الرجلان لأنقاذهما فلم يصبهما ضرر ، فلما أرغما على سرقة الكنز تعرضا للأذى

فقال سالك: إنني أتذكر الكلام الذي سمعناه من أبي ليلة موته في تلك الليلة الحزينة.. لقد ذكر الجن وعلاقته بهم.. وها هؤلاء القوم يتحدثون عن العفاريت والجن.. فلابد أن والدنا قطبة بن سنان يعلم الخطر الذي قد نتعرض له أو يتعرض له البئر فطلب من أصدقائه الجآن أن يحموا البئر وهذا الكنز .. الليلة بإذن الله سندخل البئر يا مالك نأخذ المشعل، ونمشى حتى الصخرة ، ونحفر ونخرج الجرة ونخبئها حتى يأتي الرجل الذي سوف يتزوج نازك ، كما رسم لنا الأب الميت .. لابد من المغامرة أيها الاخوة قبل أن نفقد الجرة .

فقال مالك : أرى أن ننتظر حتى تخف عيون الفضوليين وينسى الناس أمر هذه البئر .

فقالت نازك : بل سيزداد مجيء الطامعين إليها ، فلنعجل بالأمر ، كما يقول سالك، وبما أن الأمر وصل للحاكم ورجال البلاد فلن يكفوا عن هذه البئر وعن هذا الكنز .

فقال مالك: يا اخوتي لو أخرجنا الذهب فلن نستفيد منه في هذه المدينة ، فكيف سنبيعه؟!.. فلنترك الجرة في حماية الجن .. والصندوقان أنتم تعرفان أمرهما .. فزوج نازك لم يأت بعد ..

فقال سالك : يا مالك! ولكن الوالد طلب منا إخراجها بعد موته ، ولم يطلب منا الانتظار.. فلنعجل بإخراجها ونتوكل على الله ..



كنز قطبة

وبعد تشاور وتحاور وافق مالك على إخراج الجرة ، فبعد نصف الليل حمل سالك الفانوس ، وحمل مالك الفأس، وتبعتهم نازك، فدخلوا من جوف الشجرة ونزلوا الدرجات ، وكان سالك يتقدمهم فوصلوا للسرداب ، وحنوا قامتهم ، ومشوا ببطء داخله حتى وصلوا فتحة البئر ، وتدلى سالك وتناول الفانوس والفأس من مالك الذي تدلى بدوره ثم نازك ، وبدأ الحفر تحت الصخرة ، وبعد ساعة استطاعوا رفع الصخرة جانبا ، وحفروا قليلا من التراب وأخرجوا الجرة الصغيرة ، ثم أحالوا التراب مكانه ثم أعادوا الصخرة مكانها، ولقد كانت أعصابهم مشدودة ومتوترة ، وصعدت نازك وتناولت الفانوس والفأس ثم الجرة ، وصعد مالك وتبعه سالك ، وسارت نازك أمامهم وعندما اقتربوا من جوف الشجرة سمعوا أصواتا في المنزل فقالت نازك : تمهلوا .. حتى أرى ماذا يريد هؤلاء الرجال ؟!

فقال سالك : بل أنا أذهب .. انتظروا هنا لا تخرجون وإذا اضطررتم للخروج فدعوا الجرة وتقدم نازكا ومالكا وخرج متسللا ، وما شعر الرجال إلا وسالكا بينهم ، وهو يقول: من أنتم ؟!

رجف الرجال وصاحوا معا : ويلك من أين أتيت ؟

فقال : هربنا لبيت خالتنا بعدما هبط الليل ثم احتاجت اختنا متاعا فجئت آخذه فمن أنتم ؟!

كانوا خمسة رجال ،ولولا شدة الظلام لرأوا حال سالك من التراب والعرق فرد أحدهم قائلا : لنا وقت طويل نبحث عنكم .

تظاهر سالك بالضحك الخفيف وقال : لماذا تبحثون عنا ؟ الحبال وقد أخذتموها

فقال رئيسهم : الملك الكبير يرغب برؤية البئر المسحورة .. فاستعدوا لزيارته ولا تتغيبوا عن المنزل .

فقال سالك بهدوء أعصاب ومتعجبا : الملك ! ملك البلاد يريد زيارتنا في هذا البيت .. يا مرحبا به .

فقال رئيسهم : نعم، الملك عماد بن واد بنفسه .. استعدوا ولا تتركوا البيت .. في الصباح بعد ساعات يسيرة سيكون هنا .

وساق الرئيس جنده وانصرف ، فنزل سالك على اخوته وروى لهما الخبر فقال مالك : أمر هذا الكنز محير.. الملك مهتم به بنفسه.. ما العمل أيها الناس؟! يظهر لي أن هذا الكنز سيجر علينا المتاعب والمشاكل .. فمنذ وفاة والدنا قطبة ونحن في هم وقلق وترقب .

فردت نازك قائلة : كانت حياة والدنا غريبة الأطوار شديدة الغموض ، وذهب وتركنا في الحيرة والجهل ..وقد نهلك ونحن في حيرة أيضا .. فما يجب أن نعمل الآن ؟

فقال سالك : رأسي يكاد أن يتصدع مما أسمع وما يحصل أمام أعيننا ، ما هذا الاهتمام الكبير بهذه البئر؟! كأنه مال لهم وفي بيوتهم .. وكيف وصل لعلمهم أن بها كنزا؟! نحن لم نتحدث لأحد .. فلعل أحدنا أخطأ وتحدث أمام آخرين.. تذكروا يا أخوان لعله أفشى السر من غير شعور

فأقسم الجميع أنهم كتموا السر، ولم يتفوهوا به أمام الناس .. والسؤال المحير على الشفاه كيف عرف بوصة بكنز البئر؟! .. هل سمعهم يتحدثون بذلك ؟!

فقالت نازك : إذا نزلوا البئر صباحا ، ولم يجدوا شيئا ، ولاحظوا الحفر فسيشكون بنا .

فاقترح أحدهم دلق بعض الماء في البئر لإخفاء حفرهم وأقدامهم ، ورأى أن يفعلوا ذلك قبل بزوغ الشمس من مشرقها ، وتابع قائلا : ندخله عن طريق السرداب ؛ لأننا لو قذفناه من باب البئر قد يكشف امرنا.. وأمرنا إلى الله.. أو نأخذ الصندوقين، وبعض الذهب ، ونخفيه ، ونعيد الجرة تحت الصخرة ؛ فإن وصلوا للجرة نكون أخذنا ما استطعنا ، ولن يكتشفوا ذلك

فقالت نازك : قد يفتشون البيت.. فاقترح أن نحفر حفرة للجرة في هذا السرداب وندلك الماء في قاع البئر لتختفي آثار الحفر والأرجل .. فالوصول لهذا السرداب ليس سهلا .. فبما أن الأمر وصل للملك ، فلابد أن أمر هذا الكنز خطير ومهم، وهناك غيرنا يعرف به .

نفذوا الاقتراح وعادوا للبيت ، يزيلون عن أنفسهم التراب والطين والعرق ، ولما أشرقت

الشمس الصفراء هيئوا أنفسهم لاستقبال الملك ، فارتدوا أحسن ثيابهم، ولما أضحت الشمس أقبل الملك وبرفقته الزعيم جبرا وعددا من الأجناد ، وأحيط البيت والبستان الكبير بالفرسان ورحب الاخوة الثلاثة بصاحب الملك والسلطان وقبلوا يديه فشكرهم ، وقال مطمئنا لهم : لا تخشوا شيئا أيها الشباب الطيبون لقد علمت بأن في هذه البئر المهجورة في بيتكم كنزا ثمينا .. وقد علمت بما جرى لابن عمكم بوصة، وكيف هلك عندما حاول استخراج هذا الكنز؟ وعلمت بما حصل لرجال الزعيم جبرا والأجيرين ، فتبين لنا أن هذه البئر مسحورة أو محفوظة فجئت بنفسي إليكم لنستخرج هذا الكنز الثمين فما قولكم ؟

ابتسم مالك بتهيب وقال : يا مولانا السلطان مرحبا بك في بيتنا ، ونحن ولابد أنهم ذكروا لك أننا لا علم لنا بكنز في هذه البئر ، هم اخبرونا بوجود الكنز، ونحن بشوق لرؤيته وما هي إلا بئر مهجورة ، ولما مات والدنا قطبة بن سنان فكرنا ـ نحن الاخوة ـ باستصلاح هذا البستان بزرع أرضه .. والزرع كما تعلمون يا مولانا يحتاج لماء باستمرار ففكرنا من الاستفادة من هذه البئر المهجور ، فأنا أعمل عند صانع الحبال المعروف فروة ، فاشتريت منه حبلا لتكون رشا للبئر ، وأخي سالك يعمل عند المعلم الحداد كروان فجلب لنا فأسا لنحرث بها الأرض ، فظهر لنا ابن عمنا بوصة فقصصنا عليه الحال، ثم أتى خفية عنا ونزل في البئر ومات مخنوقا ، وقالوا فيها بعد من العفاريت ، ونحن قلنا للزعيم جبرا أن يتصرف بالبئر كما يشاء ، ويبحث عن الكنز المزعوم بدون اعتراض ، بل عرضنا عليه أن نبيعه البيت لنبتعد عن الجن والعفاريت حتى أننا هربنا الليلة وخفنا من المبيت في البيت ..

ضحك الملك وقال : هذا الكلام أكثره وصل مسامعنا .. فظهر لنا أن هذه البئر لا يستطيع أحد دخلوها لأخذ الكنز ؛ فإذا كانت هذه الكنوز محفوظة باسم أحد فلربما تكونون أنتم ، فإذا نزل أحدكم فقد له يعترضه حرس البئر ؟!

فهم الشباب غاية الملك فقال سالك : أنا سأنزل ، وسأحمل الفانوس، وينزل معي رجل من رجالكم؛ فإذا هلكت يا ملك الزمان ، فأوصيك على أخي مالك وأختي نازك .

فشجعه الملك وقال : لا تخف يا بني! .. ولن يحدث لك شيئا .. هيا بنا لنرى هذه البئر .
احضر رجال جبرا الحبال والفأس والمصباح ، وتجمعوا حول البئر ، وتدلى سالك بأحد الحبال وهو يحمل القنديل، ورجل آخر بالفأس حتى وصلوا لقاع البئر، ودخلت أقدامهم في الطين والماء، ومكثا ساعة وهم يسمعون صراخا من الأعلى بين الحين والآخر من الرجال في أعلى البئر ثم أخرجوهما ، ثم قال رجل الملك : لم أجد شيئا يا مولاي سوى الماء والطين كما ترونه على أرجلنا، وصخرة حفرنا حولها وتحتها حتى خلعناها فلم نجد تحتها شيئا أيضا .
فقال الملك بدهشة : ماء.. أمر غريب ! من أين أتى الماء ؟! غريب كل شيء حدث هنا غريب على كل حال فعلت ما عليك يا سالك ، أشكرك على شجاعتك ، الأمر غامض.. فعلى كل حال هذا الكنز هو لكما .. ولابد أن تصلا إليه ، ومرا على الزعيم جبرا ليكافئكما عن هذا الإزعاج والخوف الذي أصابكم .
ثم أخذ الملك أعوانه وانصرف وهو حائر شاك ، وفزع الناس على بيت قطبة يسمعون الحكاية ولمعرفة سبب تجمع هؤلاء العساكر حول البيت.. فأعاد مالك على مسامعهم قصة الكنز ..وأن الملك عماد بن واد مهتم بأمره ، وجاء بنفسه ليشرف على إخراجه ولكنهم للأسف لم يجدوا الكنز المزعوم .
أرسل الملك بعد أيام يسيرة من هذه الحادثة يخطب نازكا زوجة له، فتعجب الاخوة من ذلك الطلب.. وتذكروا وصية أبيهم .. فاعتذروا للوسيط ، فطلبهم الملك فسار إليه الأخوان وحدثوه بوصية والدهم بشأن زواجها، فلم يقتنع فبعث وراء الفتاة وعرض نفسه عليها، فذكرت له قصة قطبة ، فصرفهم ، وتعجب الناس والفقراء خاصة من عدم قبول نازك بالزواج من ملك البلاد ، وتقدم إليها شباب في سنها يطلبون يدها ، فرفضتهم لنفس السبب حتى أن ابن عم لها طلبها من اخوتها فاعتذروا له وذكروا له وصية أبيهم ، ولما هدأت العاصفة ، وعاد الهدوء للبيت ذهب الاخوة للسرداب، وعلى ضوء المشعل اخرجوا الجرة الفخارية ، وإلى الغرفة التي خرجت فيها روح قطبة ، وعند السحر ذكروا اسم الرحمن بعد أن تأكدوا من عدم وجود

عيون الرقباء والمتلصصين ، وفتحوا الجرة فتساقط منها الذهب واللؤلؤ والفضة ، ثم اخرجوا الصندوقين فأخذ مالك الصندوق الأحمر ، وأخذ سالك صندوقه الأخضر ، ونازك تنظر إليهما بصمت وتفكير ، واقتسما المال بينهما بالتساوي بدون أن تأخذ نازك منه شيئا، ثم أعادوا الجرة للسرداب ، وبدءا يفكران كيف يتصرفان بالذهب بدون أن يقعا في قبضة الملك؟ ربما لو يكشف أمرهما فسوف يتعرضان للموت والأذى أمام كل الناس ، فما كان أمامهما إلا الرحيل من هذه المدينة وبيع المنزل الذي بناه قطبة ، ولكن كان يعيقهما عن تنفيذ هذا الاقتراح عدم إتيان زوج نازك المنتظر ، وبعد مرور سنة على وفاة قطبة أتاهم رجل غريب أعور العين مقطوع الأذن سليط اللسان قصير القامة دخل البيت عليهم بغير استئذان ، فما وجدت نازك نفسها إلا وهو عندها يتغزل بها بأقبح الألفاظ ، ويتوعدها بالضرب والإذلال ، ولما زالت عنها الدهشة والاستهجان صاحت به : يا وقح ! كيف تدخل البيت بغير إذن يا أقبح الرجال ؟! وتقول مثل هذه الأقوال القبيحة .. وليس عندي في البيت رجال

فراح يضحك بصوت يجلجل في حجرات البيت ثم قال : اسكتي يا ابنة قطبة أنا زوجك زهمان لقد خطبتك من أبيك وأنت صغيرة في المهد لا تحسني غير الرضاع .. فمتى يرجع الأخوان مالك وسالك ؟ اللذان طال بهما الانتظار لفتح الصناديق ومعرفة ما فيها من الأسرار .. رحمك الله يا قطبة فهذه عروس تفتن الغلمان فكيف بكهل مثل زهمان ؟! .. متى يعود الأخوان ؟ لابد أن النار تسري في دمائهما ويقولان متى يأتي عروس نازك الجميلة الموعود بزواجها من أبينا قطبة حتى يتركا البلد ويهجراه للتمتع بثروة قطبة بن سنان .. مساكين لا يعلمون ما قدر لهما عند الملك الديان !

فلما استوعبت نازك كلامه وصمت عن الكلام قالت : يا هذا آنت زوجي؟! الرجل الذي حدثني أبي عنه .. أأنت زوجي الذي طلب مني أبي أن انتظرك لأكون لك حليلة ؟! .

فضحك زهمان القبيح ضحكا عاليا وقال: نعم ، نعم ، أيتها الغزالة الصغيرة .. أنا خطيبك منذ عهد بعيد ، وسأكون زوجك من قريب .. أين اخوتك ؟ .

وصار يشتمهم ويلعنهم حتى دب الخوف في قلبها من قبح لسانه ، وقالت وهي ترجف من الخوف : هما في العمل .. أحدهما يعمل عند صانع الحبال فروة ، والآخر يعمل عند الحداد كروان .

فصرخ فيها قائلا : جهزي أفضل الطعام ، سأذهب وأحضرهما لنأكل الطعام، ونتعرف على أولاد قطبة بن سنان .

وغادرها وهو يقذفها بسوء الكلام والألقاب ، فأخذت بالبكاء على هذا الزوج ذي اللسان البذيء الوقح ، وتفكر كيف ستقضي حياتها عند هذا الرجل ؟! وكانت تتذكر وصية أبيها قبل عام فتكف عن البكاء والشكوى ، وتعلم أن عليها بالرضا والصبر، وأنها في اختبار وامتحان .

ذهب زهمان إلى مكان عمل مالك ، ودخل المكان وهو يسب ويلعن ويصيح على مالك بلفظ قبيح ومما قال : يا مالك يا هالك لي سنوات أبحث عنك ، وأسال عنك هنا وهناك .. فأنا زهمان خطيب أختك نازك.. أأصل الدار ولا أجدك في الانتظار.. فيا ويحك من لساني ذي الكلام القاني يا هالك بن هالك ! .

أدرك مالك المدهوش من هجوم الرجل الغريب عليه أن هذا الرجل القبيح اللسان والصورة هو الرجل الذي هم في انتظاره ؛ ليكون بعلا لأختهم نازك.. فحزن وأسف لاختيار أبيه لهذه الرجل البذيء وركبه الغم ، وأخذ بالاعتذار لصاحب الحانوت من سلاطة لسان نسيبهم القادم فقال : يا إخوان لا تغضبوا على صاحبنا زهمان وأعتذر لكم عن سوء كلامه ، وأمسك بيد زهمان وقال : هيا أيها الرجل فضحتنا أمام الخلق لا أدري كيف ستعيش معك نازك المسكينة ؟

فصاح زهمان قائلا : خزاك الله يا مالك ! أما أوصاك قطبة بحسن الأدب معي والكلام ؟

فرد مالك بحدة : لولا هذه الوصية يا رجل لرأيت مني العجب .. هيا للبيت ولا تكثر الكلام والشتم .

فقال زهمان سليط اللسان : فلنذهب لإحضار سالك المنافق يا ابن قطبة .

وفي متجر كروان الحداد أعاد زهمان الكرة بالسب والقذف والتحقير مما أزعج سالك ومن كان

معه في المكان ، وقال زهمان : يا نجس ! .. يا قليل الأخلاق يا ابن قطبة بن سنان أأصل بيتكم وما تكون في استقبالي؟ وما لقيتك في الانتظار! يا مهان يا جبان لا تنظر اليّ شذرا مذرا أنا زهمان خطيب أختك نازك يا بن الكرام .

استمع سالك لقبيح كلام زهمان على مضض وصبر، ولم يتكلم وتذكر وصية قطبة لهم بالصبر على أذى ولسان هذا الرجل الموعود ، واعتذر للمعلم كروان والحدادين الآخرين من سوء لسان ضيفه ، وساروا الثلاثة للبيت فوجدوا نازكا قد صنعت الطعام من بين دموعها الغزيرة مما سمعت من قبيح كلام ممن سيكون بعلا لها ، وصبروا على هذا الرجل الغريب وحثوا أختهم على الرضا به فهو اختيار الوالد، وأعطاهم خطاب قطبة الذي ذكره لهم أبوهم قبل موته بساعات ، وكان فيه "لقد وافقت على زواج ابنتي نازك منك يا ولدي" وعليه اسم قطبة بن سنان بحبر ذهبي ، وأخبروه أن والدهم أوصاهم به خيرا ، وأوصاهم على الموافقة على طلبه وتزويجه لأختهم ، وبعد شهر أبدى الضيف رغبته بالزواج من نازك أمام أقرباء وجيران قطبة ، فعقدوا لها الزواج على الضيف الغريب الأطوار خضوعا لوصية قطبة لأولاده عند موته، فحزنت عليها الصديقات والقريبات، وأسف الأصحاب والأقارب من زواجها من هذا الرجل الغريب القبيح، فصبرت نفسها وقالت: إن والدها أوصاها بالزواج منه ، وعليها الرضا به مهما كان بشعا وقبيحا ، وإن اخوتها لم يجبروها على الزواج منه .

وعلم الملك عماد بن واد بزواج نازك من الغريب زهمان ، فاستدعاه للقصر ، فلما رآه تعجب من هيئته وصفته ، وحزن على نازك الصغيرة الجميلة أن تتزوج من مثل هذا الرجل القبيح ، فحاول إغراءه بالمال ليترك الفتاة الطيبة وينفصل عنها ، فأعاد الاخوة على مسامع الملك والحاشية وصية قطبة الغريبة والعجيبة ، فقام أحد الوزراء بتحريض الملك على الفتك به وتخليصها منه ، فابتسم زهمان وقال بصوت عال : آه!.. منك يا وزير السوء .. تحرض الملك عماد بن واد على الفتك بي ما بيني وبينك يا عدو الله ! وهل لأنني قبيح الخلق والخلق لا أتزوج مثل هذه الحسناء؟! .. فأنت يا وزير السوء لا تصلح بالجلوس في حضرة الملوك ..

استشاط الوزير غضبا ونارا لهذا الكلام الشديد ، ونهض وسل الحسام من غمده ، وأخذ بالتهديد والوعيد وهو يقول : لولا عظمة السلطان لأعدمتك الحياة يا نذل يا جبان يا زهمان الخسيس يا قليل الحياء يا جبان .

قهقهه زهمان عاليا وقال : لو أنك تستحي حقا كما تدعى يا وزير السوء ، وتحترم السلطان ما أخرجت سيفك بحضرته دون إذنه ، وهددتني به وأنا بحضرة الملك وجواره.. فأنا أتيت هنا بناء على دعوته ورغبته.. وهذه المرأة نصيبي وقدري، فكيف تعترض على إرادة الرحمن يا رعديد؟

استشاط الوزير وأكثر الحاشية غضبا من ألفاظ زهمان الغريب ، فقال الملك بحدة : كفى كفى أيها الرجلان .. إنكما في الحقيقة وقحان ، ولا تحترمان مجلس السلطان .. فالوزير اخطأ بامتشاق الحسام بحضرتنا ودون تصريح منا.. وأنت يا غريب أخطأت بالتطاول علينا وعدم لزوم الصمت والاحترام بحضرتنا فلابد من تأديبك لتكون عبرة لغيرك .

تقدم مالك سريعا وقبل قدمي السلطان طالبا العفو عن زهمان صاحب اللسان السليط ، وترجى الملك أن يعفو عن صهره الغريب ، وفعل سالك مثل مالك ، وتقدمت الفتاة نازك تتشفع بزوجها أيضا فقال الملك : حسنا قبلت شفاعتكم بعدم فصل رأسه عن جسده .. خذوه للسجن بضعة أيام ليتأدب في الكلام .

حزن الاخوة لما حل بزهمان ، وتوسلوا لولي الأمر أن يصفح عنه ليتزوج أختهم ويغادر لبلاده ويرتاحوا منه فصرفهم بغضب قائلا لهم : انصرفوا قبل أن أغضب عليكم .. ولا تكثروا من الكلام ؛ فلولا محبة الرحمن لأهلكتكم جميعا .. لقد طلبتها منكم فرفضتم ، ورضيتم بهذا الأجرب .. بقولكم أبونا وصانا .. لولا كراهتي للظلم والعدوان لأخرجتكم من الديار .. اغربوا عني .

فبكوا أمام السلطان وقال زهمان : الظلم ظلمات ، ومرتعه وخيم ، والعدل والإحسان فضله عظيم وذكره دائم بين الناس .. ما بيني وبينك لتأمر بحبسي وترفض شفاعة هؤلاء بي .. ؟

فغضب الملك وقال : أين الجند ؟ أما زال هذا الرجل أمامي ؟ اصمت أيها القذر الوقح! .. أين جبرا ؟ أين الحرس؟ ..وقبل أن ينفذ الجند أمر الاعتقال دخل الحاجب برسالة مهمة وهو يقول: يا مولاي العظيم! رسالة لك من الملك طهمان بن زلمان!

ساق الحرس زهمان والاخوة الثلاثة، وما كادوا يصلون لباب القصر حتى طلبهم الملك من جديد لديوانه ، فخاف الاخوة الثلاثة على أنفسهم وعلى ضيفهم ، وأن الملك أراد أن يفتك بزهمان وبهم ، ولما وقف الجميع أمام السلطان مرة ثانية كان الملك ما زال يمسك كتابا في احدى يديه وبين يديه رسول ، فلما وقفوا أمامه قال الملك وهو ينظر لزهمان : يا زهمان ما علاقتك بالملك طهمان ؟! .. وهذا ملك كبير يحكم ممالك من الإنس والجن .

تبسم زهمان وقال بصوت ناعم: صديقي وصاحبي .. تعرفت عليه منذ زمن فهو نعم الصديق والأخ يا ملك عماد .

فقال الملك بحيرة : الذي يحيرني أنه كيف علم أنك بحضرتي؟! وقد طلب مني تركك وعدم التعرض لك حتى تخرج من البلاد .. فأمرك يا زهمان خطير وغريب ومريب !.

فقال زهمان: أنا جئت من مملكة طهمان بن زلمان لأتزوج هذه الفتاة ..فأنا جندي من جنود طهمان

فقال الملك : اخرج من القصر سالما راشدا أنت وجماعتك .. وهنيئا لك الزواج من هذه الفتاة الطيبة .. وهنيئا لك أيتها الفتاة بهذا الزواج .. فزوجك ذو شأن كبير في قومه ؛ ولكنه متنكر ، والله اعلم .

فقال زهمان لرسول الملك طهمان : اشكر الملك عني أيها الرسول ، فهو لا يغفل عن جندي من جنوده ، وإن كان في مثل خلقي وأخلاقي ، وقل له أنا بخير ، وقد نكحت ابنة قطبة بن سنان وأعيش في كنف السلطان عماد بن واد .

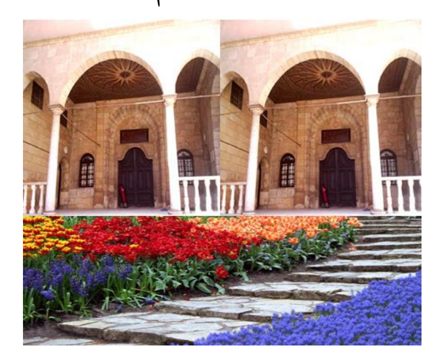
قفل الاخوة الثلاثة وزهمان للبيت، وهم أكثر احتراما لزهمان ، وشعروا بأنه رجل له سلطة وعشيرة عند الملك طهمان، فهو لم يخش وزير عماد ، ولا عماد نفسه ، وقد شتم الوزير بدون خوف أو وجل ، وحاول زهمان تشجيعهم على فتح صناديق قطبة ، فرفضوا وقالوا لم يحن الوقت

بعد ، وقد حاول زهمان أخذ الحزام من زوجته نازك فرفضت بشدة ، وصبر الاخوة على أذى زهمان حتى أعلمهم برغبته بأخذ زوجته والرحيل من هذه البلاد، فاشتروا جملا وهودجا لأختهم نازك ، وزودوهما بأفضل الهدايا والطعام والماء والمال ، وودعوا أختهم وداعا حارا ، كله دموع وبكاء على الفراق الصعب ، فقد اعتادوا على مقامها بينهم ، ومشوا معهم إلى آخر حدود البلد ، ولما حان ساعة الفراق بكت عيونهم بكاء قويا ، وقالوا لزهمان : يا زهمان لا تنسانا من الزيارات رغم شراستك وطول لسانك فقد اندمجنا معك ومع أخلاقك .. فنحن نوصيك على هذه المسكينة في بلاد لا نعرفها ، فهي أمانة في عنقك ، فهي وحيدة لا أهل لها إلا أنت ، ولا أصدقاء لها إلا أنت .

فقال زهمان بجد : اطمئنوا هي في حصن وأمان ، وقد نزوركم في كل عام مرة .

فقال سالك : ونحن كيف نزور اختنا ؟

فقال زهمان : لا تفكروا بذلك .. فعندما نشتاق إليكم نأتي إليكم .. فكروا بأحلامكم وأموالكم وأمامكم أهوال وأهوال .. فاحذروا يا أبناء قطبة أن تخالفوا وصية أبيكم وتفتحوا صناديق قطبة قبل العام .. وداعا أيها الأصدقاء .. لا تنسوا صهركم زهمان .



سر الصندوق

قفل الأخوان للبيت منهكين الأبدان ، يغمرهم الحزن والضيق على فراق حبيبتهم نازك، ولما ألقوا بأنفسهم على الفراش ، وقد خلت الدار من نازك وزهمان، قال مالك : كان الله في عون أختنا.. لا نعلم إلى أي البلاد ساقها.. آه ! لولا وصية قطبة ما أخذها هذا الرجل الغريب بل المجهول !

فقال سالك : يا رجل لولا وصية الوالد لتزوجت منذ عهد .. الملك خطبها وطلبها للزواج ؛ ولكن هذا الزهمان لابد أن له حكاية وقصة مع والدنا قطبة ..فهو جندي عند الملك طهمان الذي كما سمعنا يحكم قبائل من الإنس والجان .. أين يوجد هذا الملك ؟!

فقال مالك بامتعاض : علينا أن ننتظر سنة ؛ لنعرف سرا آخر من أسرار قطبة .. لقد انشغل القلب بمعرفة ما في هذه الصناديق البراقة تذكرت المال الذي ورثناه عن قطبة ماذا سنفعل به ؟ ما استطعنا أن نفيد نازكا منه بشيء ؟!

فقال سالك : كنا في راحة بال قبل موت قطبة بن سنان .. منذ هلك وأنا مشغول بحياته وأسراره ما علاقته بزهمان وطهمان والإنس والجان؟! أنسيت عفاريت البئر وموت بوصة واختناق الرجال ؟!

فقال مالك : هذه الأسرار مخزونة في الصناديق .. وسنعرف قصة قطبة بن سنان منها.. يا أخي لم نعرف اسم أبي زهمان ، ولا قومه وأهله ، ولا موقع بلاده في هذه الأرض .

فضحك سالك وقال: أما سألته عن ذلك رغم مكثه بيننا خمسة أشهر كأنها الدهر؟!

فعاد مالك يقول: نحن خضعنا لإرادة قطبة ، وانشغالنا بأمر الصناديق والجرة وزواج نازك لهذا المجهول أطار منا الذهن والافتكار.. فاستسلمنا وما حاولنا معرفة هذا الرجل الغريب وكشف أسراره ، فهو رجل فطن ذكي ..ولعله متنكر كما قال له الملك عماد .

فقال سالك: معك حق يا أخي لننتظر حتى تمضي السنة .. والآن فما رأيك بالزواج؟ فنبحث لك عن زوجة بين الأقارب والجيران ونزوجك.. فقد كبرت يا مالك! فأنت قد بلغت

الثلاثين من العمر .

تضاحك مالك وقال : قبل موت قطبة كنت أفكر بذلك.. أما الآن فلسوف اصبر حتى أعرف سر الصندوق ، ثم أفكر بالزواج .

فقال سالك : كما تشاء ، ولكننا نحتاج لامرأة في البيت.. تعد لنا الطعام ..وتعتني بالبستان .. ونحن لا نستطيع إدخال غريب للبيت حتى لا يطلع على سرنا وحالنا ، ولكن لابد من خادم للبيت .

فرد مالك : نحن حقا بحاجة لخادم وحارس تزوج أنت يا سالك .

فقال سالك : وأنا مثلك قلق من أمر هذه الصناديق .. فلنتعاون إذن على خدمة البيت، يعود أحدنا مبكرا قبل الآخر لإعداد الطعام وشراء الحاجات من السوق ، وفي اليوم التالي يعود الآخر وهكذا كل واحد يبكر بالعودة يوما حتى تنقضي أطول سنة في حياتنا .. ونرى ما خبأ لنا والدنا قطبة في هذه الصناديق .. وعلينا صباحا قبل الذهاب للعمل بأن نسقي سوية الأشجار والزرع ونعتني بالأرض .

اتفق الأخوان على هذا الترتيب لإدارة شؤون البيت ، وتدبير شأنهما بنفسيهما ، وعدم إدخال غريب عليهما البيت حتى تنقضي هذه السنة ، فقاما بتغيير أقفال البيت وتجديدها كلها .

مضت الأيام واقترب الموعد المنتظر لمعرفة أسرار الصندوقين اللذين ورثاهما عن أبيهما ؛ ولكن كما تعلمون الانتظار شاق على النفس ، والفضول دافع قوي للإنسان لمخالفة عقله، والشيطان له دوره .. أمام هذه الأشياء ضعف مالك، فذات يوم عاد مبكرا للبيت قبل أخيه ، فالدور في إعداد الطعام والطهي عليه ، وكذلك خدمة المنزل ، فحدثته نفسه بعد أن أعد الأشياء بالنظر إلى صندوقه وتفقده وتنظيفه ، وكان من عادته أن يتفقده في مخبئه الذي دفنه فيه بين الحين والآخر، فأمام حديث النفس ورغبتها ضعف ونسي قطبة وزهمان ونازكا وسالكا ونسي الموعد المنتظر ، وبدأ يعبث بالقفل والمفتاح وبدون شعور كما يقولون فتح القفل فتك تكة واحدة ثم ثانية ثم ثالثة ؛ فإذا بالصندوق ينفتح ، فوجد بطاقة من ورق مكتوب عليها " يا خسارة الأيام

بعد هذا الانتظار!" قرأ الجملة وما فكر فيها فرفعها ، فكانت تحتها بطاقة أخرى مكتوب عليها " الصبر ثمين وجزاؤه ثمين " قرأها ورفعها ، فوجد أخرى أسفل منها "العجلة فيها الندامة" فرفعها ، فوجد تحتها كتابا صغير الحجم،لكنه كثيف مكتوب عليه"أنا كتاب أسرار العلاج والشفاء ، ما من مرض وداء إلا له في داخلي دواء وشفاء إلا الموت والهرم "

قلب أوراق الكتاب لا شيء فيها اختفت منها الكتابة ، فأحس بغضب وغيض ، فوجد تحت الكتاب بطاقة أخرى مكتوب فيها "هذا كتاب له موعد ينتفع به مالكه، ومن خالف الموعد خاب وخسر ، ولا تعود الكتابة إليه إلا بإذن صاحب باب السر "

لما انتهى مالك من القراءة أدرك أنه ارتكب جريمة ، وأنه خسر هذا الكنز، فأصابه الندم والحسرة والحيرة ، وبعد تفكير قال : سأخفي الأمر عن سالك حتى أرى ما في صندوقه من أسرار ، ثم أقص الأمر عليه .



كان سالك قد أحس وشعر بأن أخيه قد تغير ، وحاله هائجة، وطبعه عجيب، وحاول أن يكون مع أخيه ، فما استطاع إلى أن حان موعد فتح الصناديق ، وفي الليلة التي اتفقا على فتح الصناديق فيها ، قال مالك لأخيه : افتح أنت أولا حتى نرى ما في صندوقك الأخضر .

أخرج سالك صندوقه الأخضر وفتحه تكة اثنتان ثلاث ، ثم انفتح الصندوق الأخضر ، فوجدوا ورقة كتب عليها "ما أحلى الفوز والنصر بعد الانتظار والصبر!" فلما رفعها ظهرت ورقة ثانية كتب عليها "الصبر ثمين وجزاءه ثمين" ، ثم ثالثة عليها "في الصبر والأناة السلامة" ؛ فإذا غمد صغير وبداخله سيف، وقد كتب على الغمد "هذا سيف من سيوف ملوك الجآن .. صنعه العبد عنان للملك "، وعلى الجهة الثانية كتب " من ملك هذا السيف لا يهزم أبدا " ، فاستل سالك السيف من غمده الذهبي؛ فإذا هو يلمع في الظلام كأنه شمس النهار ، وعليه أزرار فضغط على زر منها ؛ فإذا السيف يطول والزر الثاني زاد الطول وهكذا كل زر

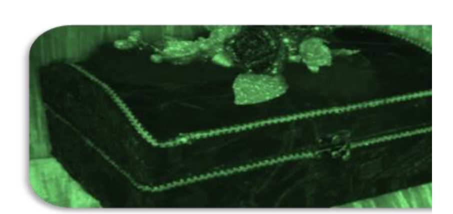
يطول السيف حتى يصبح طوله ثلاثة أذرع ، فهزه سالك بيده فسمع له صفيرا ؛ كأنه صفير وزعيق الجآن ، فعاد وضغط على الأزرار فكلما يضغط زرا يقصر طوله حتى عاد لغمده الصغير وقال معجبا : هائل عظيم هذا السيف إنه قوة كبيرة لنا !

ووجد تحت الغمد في الصندوق بطاقة كتب عليها "يا صاحب السيف .. هنيئا لك هذا السيف فكن شجاعا غير هياب للمنايا وطول الرماح .. واحفظه من السرقة والضياع "

فصاح سالك عندئذ من الفرح وقال : الله ! الله ! .. الآن يستطيع الفتى أن يتحدى الأشرار والظلام .. هذا كنز ثمين يا مالك بن قطبة .. هيا أرنا ما في صندوقك الأحمر .

كان مالك يبكي ويبكي فقال سالك عندما سمع بكاء أخيه ، وقد انتبه إليه، وقد وضع الغمد على خصره : مالك أخي الحبيب .. ما هذا البكاء في هذا اليوم السعيد؟! .. هل فتحت الصندوق قبل اليوم ؟!

بعدما خفف عن أخيه الهم ، وسمع اعترافه وعدم صبره إلى هذا اليوم ، هدأ من روعه وقلقه وقال : لا بأس عليك يا ابن أمي وأبي .. هذا السيف لنا جميعا ندافع به عن أنفسنا ضد من يعادينا ويحاول سلب مالنا .. هون عليك .. دعني انظر في صندوقك .



أعطاه مالك الصندوق ، ففتحه وقرأ الأوراق التي بداخله ثم قال : الحق أننا فقدنا شيئا جميلا وباهرا ، وبما أننا نملك هذا السيف والمال فلنسافر في الدنيا نسأل عن صاحب باب السر ، ونطلب منه أن يأذن بإعادة الكتابة لهذا الكتاب العجيب في الطب والحكمة ، ولابد أن يكون هذا الرجل ملك من ملوك الجآن ، ونحن كما تعلم يا أخي العزيز كنا ننتظر هذا اليوم لنرى ما في هذه الصناديق ، ثم نرحل لنتصرف في الذهب.. فالآن أصبح لنا هدف آخر ..إن لم يكن أهداف .

فقال مالك : لا داعي للرحيل يا سالك ! مبارك عليك سيف قطبة ، ولنبق بين الأهل والأصحاب ، ونتزوج وننسى أمر هذا الكتاب .

فقال سالك : ويحك يا أخي !.. هذا كلام لا يجوز .. فلنغامر فلنرحل كما كان يفعل قطبة حتى نعرف سر هذه الأشياء ، ومن أين جلبها أبونا ؟! فأمرنا ازداد غموضا، ولم نعرف الأسرار التي كنا نحلم بها ونمني النفس بمعرفتها .. المال موجود والسيف موجود وقوة الله معنا .

اقنع سالك مالكا بضرورة السفر والكشف عن أسرار قطبة وقال سالك: سنأخذ ما يلزمنا من الذهب والمال والسيف والكتاب، وندفن الباقي في السرداب المعروف، ونأخذ ما يلزم من الطعام والشراب ، ونتوكل على الحي القيوم ، ومن عاد منا سالما بعد هذه الرحلة المجهولة فالمال المتبقي حلال عليه ، وكلنا أمل أن نعود كلينا سالمين .

جهزا أمر رحليهما على حين غفلة من الناس ، فلما حانت ساعة الفراق اخبروا بعض الأصدقاء والأقارب عن قصدهم الرحيل والسفر والسياحة في هذه الدنيا، معتذرين للناس بأنهم بعد زواج أختهما صعبت عليهما الحياة ، فهما يفكران بالتنقل والحركة في أقطار الأرض لعلهما يكتسبان من حياتهما تجربة وخبرة جديدة ، وإن قدرت لهما الحياة سوف يعودان إلى هذه البلاد كما كان يفعل والدهما قطبة ، وأوصيا أقاربهما وجيرانها على البيت ، وطلبوا من سدرة ابن عمهم العناية بالأشجار والأرض والاستفادة من ثمارها في فترة غيابهما ، وقد أتى كروان الحداد وشيخ الحدادين في سوق الحديد مودعا لسالك ومالك قائلا : تعز علينا صحبتك يا سالك لقد كنت عاملا نشيطا وأمينا متقنا للعمل .. فأنا مستعد لدفع المزيد من الأجرة لك إذا كانت مشكلتكم المال لتبقوا هنا .

أثنى عليه سالك وشكر اهتمامه وقال : مللت هذه المدينة يا صاحبي ويا معلمي كروان .

فقال كروان : يا ولدي .. أزوجك ابنتي شيماء .. وابق عندنا ومعنا .

فقال سالك : هذا إغراء طيب لكننا عزمنا أمرنا .

فقال كروان : ما الذي يدفعكم لتركنا ؟ اصدقني القول أيها الابن العزيز .. فأنا لي خبرة وتجربة في الحياة الدنيا إن كان هناك أمر يشغلك فأنا أساعدك .

فقال مالك متأثرا بكلام معلم سالك : أنت رجل فاضل يا كروان .. نحن نريد أن نسافر لنبحث

عن شيء اسمه صاحب باب السر .

سكت كروان طويلا لما سمع كلمة " صاحب باب السر " مما أثار انتباه الشابين فقال سالك بلهفة : هل عندك علم عنه يا سيد كروان ؟!

فبعد تفكير ونظر رفع كروان رأسه وتلفت في عيون الرجلين ثم قال : قبل أن أقول لكم شيئا أيها الصاحبان.. فأمركما خطير وهذا اسم مخيف ، وعليكما بقص أمركما عليّ ؟

ذكر سالك له قصتهما وقصة الصندوقين بايجاز مبين ، وأمام تصميمها على الرحيل للوصول لصاحب باب السر خضع لهما كروان الحداد ، وتحدث عما يعرفه عن صاحب باب السر فقال : هذا الاسم لرجل من الجن ..عظيم في قومه .. وعليكما خطر منه ..ولسوف أدلكم على رجل يعرفه أكثر مني .

سر الأخوان لهذا الخبر ، واظهرا شكرهما لشيخ الحدادين ، فتابع الحداد كلامه قائلا : يا ولدي يا سالك .. هل تعرف الحداد " عماد " الشاب الأسمر الذي كان يزورنا بين عهد وعهد ؟.. هل تتذكره ؟ .. المهم هذا الشاب حداد مثلنا له محددة في طرف المدينة الشرقي ..هناك سوق صغير للحدادين كما تعلم .. فاذهبا إليه قبل سفركما .. واسمعا قصته مع صاحب باب السر والجنيات .

عماد الحداد



أخرا السفر والرحيل حتى يلتقيا بالشاب الحداد عماد، فلما أشرقت الشمس، وارتفعت في كبد السماء ، ذهبا لطرف المدينة الشرقي حيث يعمل الحداد عماد، ووجداه في دكانه فإذا هو شاب أسمر البشرة قوي البنية ، يجلس على مقعد وحوله بعض الشباب والغلمان ، فسلما عليهم، وذكرا له أن المعلم كروان أرسلهما إليه لحديث خاص ، وأنه سالك وأخوه مالك ، فصرف المعلم عماد العمال إلى أعمالهم ورحب بهما فقال : أهلا بكما وبالمعلم كروان ما عندكم ؟ فقال سالك : أيها الرجل الطيب .. نحن نريد أن نسمع قصتك وحكايتك مع صاحب باب

السر لأمر يهمنا ، وذكرا له طرفا من قصة الصندوق الأحمر ، فانتفض الشاب عند سماعها مثل الطير المبلول من المطر وقال : هذا الكلام لا ينفع في الدكان؛ فإن لي سنوات وسنوات في انتظاركما .. لنمش إلى البيت .

وصاح في عماله : معلم كلب .. انتبه للعمال والصناع ، وأنا سائر للبيت مع هذين البطلين، وعند الظهيرة أرسل لنا الطعام والغداء مع الغلام شهوان .. من أجود الطعام ، وإن تأخرت لليل فاغلق الدكان ..ومر عليّ يا معلم كلب .

ساق عماد الحداد الأخوين إلى بيته ، ولما جلسوا وشربوا الماء البارد قال لهما بشوق : إنني في انتظاركما منذ سنوات طويلة .. آه !.. يا مالك لو لم تتعجل بفتح الصندوق لعجلت بشفائي .

فقال سالك : لو لم يحدث ذلك لما عرفناك وبحثنا عنك .

فقال عماد : معك حق!.. على كل حال قصتي يا سادة قصة محزنة ، تدمي القلب، وسأضعها بين قلوبكم لتساعدوني ولا تنسوني إذا عدتم من عند الملك صاحب باب السر .. أنا في انتظاركم بشوق .. وسأدفع لكم كل مالي وكل ما أملك على أن أشفى من دائي .

فقال مالك : يا رجل شوقتنا لسماع مأساتك .. فلسوف نساعدك بدون أخذ مالك .. تكلم ؟

قال عماد : أريد أن أسمع قسمكما على مساعدتي .

فقال سالك : نسمع ثم نقسم .

فقال عماد : حسن ـ ومسح الدموع التي انسكبت على خديه ولحيته وتنهد من أعماق القلب ـ وقال : أنا حداد مثلك يا سالك ! وتعلمت الحدادة منذ الصغر عند المعلم كروان حتى كبرت وأتقنت المهنة والحرفة ، ففتحت هذه الدكان التي رأيتموها لأعمل بها وحدي ، ونجحت في مهنتي رغم بعد دكاني عن سوق الحدادين ، وصار لي زبائن في كل المدينة إلى أن كان يوم وقد انصرف العمال ، وظللت وحدي اكمل العمل لأحد زبائني ، وكان لي بجوار الدكان حجرة صغيرة إذا تأخرت إلى الليل أنام وأرقد فيها ، وفي ذلك اليوم تأخرت إلى نصف الليل في العمل وكنت اشتغل والدكان مغلقة ، ولما أنهيت ما كنت أعمل به أخذت أحد الفوانيس بعدما

اطفأت كل الفوانيس الأخرى ، ودخلت الحجرة الصغيرة لاستريح من تعب النهار والليل وأنام بضع ساعات ، وقبل أن تغفل وتنام عيناي انشق الجدار الذي أمامي ؛ فإذا بصورة فتاة جميلة كبدر التمام تقترب مني فظننت نفسي بداية في حلم .. فقلت بصوت مسموع مشوب بالخوف : هل أنا بعلم أم بحلم ؟!

فسمعت صوتا يقول برقة وحنان : بل في علم .. أنا جنيتك نجمة جارية الملكة بوبا .

فأصلحت جلستي وهمست قائلا : جنية !.. أأنت جنية ؟!.. وماذا تريدين مني ؟!

فقالت وهي تقف قريبا مني: أريد أن أتزوجك.. لقد رأيتك في جولاتي فعشقتك .. وجئت إليك لأتزوجك .. فلا تردني خائبة وتشمت بي صويحباتي يا سيدي عماد .. وأخذت تتغزل فيّ بكلام معسول حتى وقعت في هواها وعشقتها ، فصرت أتأخر في العمل لليل لأنام في تلك الحجرة .. فتأتيني جنيتي واجتمع بها بعد منتصف الليل عندما تترك خدمة سيدتها الملكة بوبا ، وبعد الحب والغرام وافقت على الزواج منها فهيئت لنا قصرا في مكان لا أعلم أين يقع ؟.. فكانت تأخذني من الدكان في الليل إلى القصر وتعيدني لطرف المدينة في ساعات الفجر الأولى فأمشي إلى عملي ولم أحدث أحدا بسري وبزواجي بعد ، كما أمرتني جنيتي نجمة ، وبعد أشهر من الزواج كسلت عن العمل ، ونفرت منه ، فاقترحت على سيدتي نجمة البقاء في القصر حتى انتهاء خدمتها عند سيدتها الملكة ، فانزعجت نجمة من هذا الكلام وقالت لي : يا حبيب لنبق كما اتفقنا يا سيدي ! نهارك في العمل .. وفي الليل معي حتى انتهي من الخدمة عند مولاتي الملكة بوبا .. ونعيش في بيت في بلاد الإنس يا سيدي عماد .

رضخت لطلبها شهرا آخر من الزمان .. وزاد كسلي وملّلي ، وتحدثت معها وفي هذه المرة صممت على البقاء في القصر نهارا ، فوافقت والدموع تملأ عينيها وقالت لي : سيدي عماد تمتع بغرف القصر كلها خلال النهار ، ولا تخرج على ظهر القصر أبدا حتى لا تندم بعد فوات الأوان ووصتني ألا أنسى هذه الوصية وإلا كان ذلك سبب للفراق والعذاب ، فلما انصرفت كأنني لم أسمع وصيتها ، ودفعني الفضول بعد حين إلى أن أصعد إلى سطح القصر ، فسمعت أنينا في

غرفة على سطح القصر الكبير ، فالخوف والفضول دفعاني إلى تلك الغرفة ، وفتحت الباب ؛ فإذا نجمة معلقة في الغرفة كأنها في عذاب وعقاب بل هي في عذاب وعقاب فصحت : نجمة زوجتي نجمة ؟!

فقالت من بين دموعها : وداعا يا سيدي ! لم تسمع نصحي في البداية ، ولا في النهاية .. سامحني يا سيدي! وسأذكر لك قصتي قبل أن يحضر الجلاد .. فقلت وأنا أحاول فك قيودها : تكلمي يا مولاتي .

فقالت بألم ودموع : دع الحبال فلن تستطيع حلها يا سيدي عماد ! .. لقد شاهدتك مرة في حفل زواج لأحد أصحابك ، وقد كنت مارة من هناك فأعجبتني وأحببتك وأثرت بي لواعج العشق والغرام ، فتتبعت أخبارك حتى عرفت مكان عملك ، وانتظرت فرصة لاجتمع بك إلى أن كانت تلك الليلة السعيدة وأحببنا بعضنا بعضا ، ثم قررنا الزواج على الشرع والحساب ، فجهزت حجرة في هذا القصر في هذا المكان البعيد ـ وهذا القصر المهجور كان لأحد مردة الجآن ـ وأحضرتك إلى هنا ، وكنا نعيش في رغد وسعادة ؛ ولكن مولاتي الملكة بوبا علمت بعشقي وزواجي وسري ، وكانت ترغب بتزويجي من غلام لها اسمه شداد ، وكان من أبغض الخلق إلى قلبي ، ولا أحبه ، فرفضت وذكرت لها أمري ، فأخبرتني بأن شدادا اعلمها بذلك كله ، فرجوتها أن تحررني من خدمتها ، وتطلق سراحي لأعيش مع حبيبي عماد فغضبت وقالت : لو أنك ذكرت ذلك سابقا لعلي رضيت وصرفت شدادا عنك ، أما الآن فلا ؛ ولكن يا نجمة سأسمح ببقائكما في القصر، ففي الليل عند عشيقك عماد ، وفي النهار سيقوم بجلدك شداد ، وعند كل مساء يفك قيودك لتذهبي وتـأت بعشقيك للقصر ، هذا مقابل خدمتك لي والعقاب مقابل خيانتك لي ، وستبقين على هذا الحال إلى أن يكتشف عشيقك عماد هذا السر، فعند ذلك سيصاب هو بالعذاب والمس والجنون في كل أسبوع مرة واحدة ، وهو اليوم الذي يكتشف فيه أمر عقابك ، وستبقون على هذا الحال إلى أن يأتي الأمير مالك بن قطبة بن سنان إلى بلادنا ، ويطلبني من والدي الملك صاحب باب السر ويتزوجني .. فأذكر له أمركما ؛ فإن رضي وعفا

عنكما باركت لكما زواجكما ، وهذا الشاب سيكون بين يديه كتاب فيه علاج لكل الأمراض ، فيداوي صاحبك مما حل به من جنون ومس .. يا سيدي عماد ! ذكرت لك ذلك لتبحث عن المالك بن قطبة فدواؤك عنده .

فقلت لما سمعت قصتها معي ومع الملكة بوبا : أخرج وكأن شيئا لم يحدث .

فقالت بحسرة وندم : فات الأوان فلا يمكن فتح الباب من الداخل .

حاولت فتحه فلم أستطع ، فوقعت في المصيدة فصحت : سامحيني يا مولاتي لقد سببت لك كل هذا الشقاء والعذاب .

فهاجت وقالت وكلها دموع وحرقة وحزن : بل أنت سامحني ، لقد جلبت لك كل هذا المصائب والمتاعب .

ولما أتى شداد غلام الملكة الجنية ، وفتح علينا الباب أصابه فرح قوي وسرور فقال وهو يضحك ويسخر منا: وقعتما في المصيدة يا غزالان !.. انتظرا حتى أعود .

وغاب ساعة من الزمان ، ورجع من عند الملكة بوبا ، وصفع عمادا صفعة طار صوابه من شدتها وحملني ورماني في طرف بلادنا وأنا أصيح كالمجنون .

وأما ما جرى لنجمة بعد ضرب عماد ، عاد إليها شداد بعدما انتهى من عماد ، وأطعمها الطعام وقال : سيدتي الملكة بوبا لا تريد أن تقسو عليك كثيرا ، فأمرت بحل وثاقك في الليل وإعادته في النهار .. آه ! يا نجمة القلب لو رضيت بي زوجا لك ما جرى لك كل هذا العقاب ، وما حل بصاحبك البلاء .

فقالت: أنا مستعدة الآن للرضا بك ، وأقبل بك من أجل صاحبي عماد .. سأطلب منه الطلاق وأتزوجك .

فضحك شداد ضحكة عالية وقال : فات الأوان أيتها المعشوقة! وهل أستطيع إغضاب الملكة مولاتي ؟ وداعا .

هذا ما جرى لنجمة بعدما صفع عماد الحداد، أما عماد فتابع الحديث قائلا: أيها الأخوان

العزيزان أصابني الجنون والعويل عدة أيام ، وتطببت عند الأطباء فما نفع دواء ، فكل أربعاء ـ وهو اليوم الذي دخلت فيه سجن نجمة ـ تصيبني حالة عنيفة من الجنون ، فيحملني العمال إلى المنزل وأنا في أسوأ حال حتى الليل ، فيخف ما بي من المس والجن ، ومما أوصتني به نجمة قبل الفراق أن أبحث عنك في كل البلاد من أجل الدواء الموجود في الكتاب الذي بين يديك يا ابن قطبة ، وقبل الختام فاعلما أنها أخبرتني أن شخصين حدث لهما مثلما حدث معي من الأهوال ، ذكرتهما لي نجمة أحدهما في بلاد الشمس في مدينة الغراب ، والآخر في بلاد القمر في مدينة البحر فكما أخبرتني نجمة المعشوقة لهما حكايات شبيهة بقصتي.. فاذهبا إليهما لعل عندهما ما يوصلكما أكثر مني لصاحب باب السر والد الملكة بوبا .. واعلما أنني قد بحثت عنكما حتى حفيت قدماي في كثير من المدن .. فعدت لمدينتنا هذه مدينة السرو انتظر مجيئكما ، كما ذكر لي صاحبي في هذا الكرب في مدينة البحر فقد قال "بأنك لابد أن تجدنا"، وما كشفت تفاصيل هذه القصة إلا لكما، وبعضها لسيدي كروان .. فعاهداني الساعة على مداواتي وشفائي وإعادة زوجتي إليّ .. نجمة المحبوبة .. إذا التقيتما بالملكة بوبا لا تنسيا أخاكما عماد الحداد .

حزن الأخوان لما أصاب هذا الإنسان من العذاب والعقاب وقال مالك : أعدك إن حصل ما سمعنا منك ، والتقيت بهذه الملكة الغريبة ووالدها صاحب باب السر أن أعالجك وأساعدك ، وأقسم بالله على هذا الوعد فاصبر أيها الصديق .

وعانقا الفتى ومسحا دموعه ، وبينما هم على هذا الحال المؤلم أتى الغلام شهوان يحمل أجود وأزكى الطعام ، فأكلوا وشربوا ، وانصرف شهوان بالآنية التي جلبها معه ، وقال سالك : سنسافر بإذن العلي العلام إلى مدينة الغراب ، ونبحث عن الشاب الآخر، ونعرف حكايته هل تعرف اسمه يا صديقنا ؟

فقال عماد الحداد : نعم .. اسمه " ايهاب " والثالث " حران " .

فقال سالك: احفظ الأسماء جيدا يا مالك.. وهل من أوصاف تساعدنا في معرفتهما؟

تبسم عماد وهو يرد قائلا: اسأل عن المجنون ايهاب .. فسيدلك عليه أهل البلد كلهم، فأنا الناس

يقولون عني "المجنون عماد الذي عشق الجنية حتى جننته وطيرت عقله " فيا أخوان لي أكثر من عشر سنوات في الانتظار .. فأرجوكما أن تتعجلا بشأني .. ولا تنسياني مع الأحداث التي ستمر بكما .



الحارس ايهاب

ودعا عمادا الحداد ، ورجعا لبيتهما ومكثا بضعة أيام أخرى ، ثم اشتريا بغلة ، وسافرا عليها إلى بلاد الشمس ، ومنها إلى مدينة الغراب ، وأخذت الطريق منهما عشرة أيام ، وكان دخلوهما لها في ضحى النهار ، فبحثا عن خان ينزلان فيه ويضعان البغل فيه ، ولما تم لهما ذلك نزلا إلى السوق واشتريا بعض الطعام ، وبعدما استراحا من وعثاء السفر ، سألا مالك الخان عن المجنون ايهاب فاستغرب الرجل وقال : غريبان يسألان عن ايهاب المجنون! .. فهذا شاب مجنون، قد عشق جنية حتى مات من العشق ، ثم تخلت عنه ، فهو هائم في الأزقة والحارات.

فقال سالك : أيها الرجل ـ بارك الله فيك ـ أرشدنا إليه لنسمع منه حكايته.. فصدق أننا جئنا من بلادنا بلاد السرو خصيصا إليه ؛ لعلنا نداويه ونشفيه من هذه اللمة .

فقال صاحب الخان : يا أبنائي .. لقد عرضه أهله على كل أطباء الدنيا ، فما نفع معه علاج ولا دواء ؛ ولكن سأرسل معكم ولدي؛ لعلكم تجدونه عند الحانوتي دهاج.

شكر الشابان الرجل الطيب ، وقادهما الولد إلى الحانوتي دهاج ، وكان بالفعل عنده المجنون ايهاب، فألقى الشباب السلام على الحانوتي الذي ظن أنهما قادمان لشراء كفن وما يلزم لغسل الميت ولباسه ؛ ولكنه سمع الفتى يقول : هذان يسألان عن ايهاب .. وهما غريبان يا سيد دهاج فقال الحانوتي وهو يلتفت إليهما : مرحبا بكما أيها الشابان ـ وأشار لايهاب ـ فهذا هو ايهاب الذي تبحثان عنه .



ونادى عليه ، فقد كان يجلس في داخل الحانوت ساهما مشغول الفكر واضعا رأسه بين يديه ، فأتى نحوهم وهو يقول : نعم ، يا سيد دهاج إنك ناديت عليّ .

فقال الحانوتي : نعم ، نعم ، هذان الشابان الغريبان يريدانك .

فالتفت إليهما والغضب في عينيه وبجفاء وصراخ قال : نعم .. أنا ايهاب ماذا تبغيان من مجنون مثلي ؟!

فاقترب منه مالك وقال وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة حزينة : أنا اسمي مالك بن قطبة .. وهذا أخي سالك .. هل سمعت بهذه الأسماء ؟

فلما تيقن ايهاب من اسم مالك بن قطبة ، وقع مغشيا عليه ، فخاف الحانوتي وانزعج وقال : ما فعلتما بهذا المسكين ؟!

فقال سالك : لا تخف عليه .. هات ماء أيها الرجل فنحن لم نعمل معه شيئا إنما ذكرنا له أسماءنا وبعدما مسحوا وجهه بالماء البارد عاد يهمس : مالك بن قطبة ! .. آه أيها البطل لقد طال الانتظار.. لي خمس عشرة سنة في انتظارك .. أهلا بكما ومرحبا .. لي مسكن فلنذهب إليه .

فصرف الأخوان الفتى ابن صاحب الخان ، وودعا الحانوتي ، وقادهم ايهاب إلى منزله ، وكان المنزل عبارة عن غرفة واحدة صغيرة عتيقة سوداء من سناج المصباح وشحباره ، فمن يراها يرثي على ساكنها ، وقد تنساب الدموع على وجنيته حزنا وألما ؛ ولكنهما لم يهتما بذلك كثيرا ، فهما يهمهما سماع قصة ايهاب التي قد تساعدهم في الوصول لصاحب باب السر .

فجلسوا جميعا وخيم عليهم الصمت ، ثم قال ايهاب : لقد أتيتم تسمعون حكايتي .. فيا أسيادي إنها قصة قديمة ، فأنا ايهاب فارس من فرسان السلطان ضرغام ملك هذه البلاد ، وقد كنت شابا قويا معروفا لأهل المدينة كلهم ، وقد عملت في خدمة الملك منذ الطفولة .. وأنا غلام دون الخامسة عشرة .. كنت محبوبا من الملك ضرغام .. وكان ـ يا أسيادي ـ للملك بستان صغير جميل .. فيه من أجمل وأفضل ثمار الأرض .. وكان فيه شجرة تفاح يحبها الملك ضرغام ، وله عناية خاصة بها ويحب ثمرها .. وكان ينتظر ثمرها بكل شوق وغرام ، وفي إحدى السنوات يا أسيادي عندما ذهب البستاني لقطف ثمرها الجميل فلم يجد عليها شيئا، فاستغرب وحدث الملك بما حدث فغضب الملك ، وفي العام التالي حصل مثل ذلك ، وفي العام الثالث حصل مثل سابقيه ، فازداد حنق الملك وغير البستاني والحرس، ومع ذلك فلم يفلح أحد في معرفة من يسرق الثمر ، فكلفني الملك ضرغام بحراسة الشجرة عند اقتراب نضج الثمر ويبدأ بالصلاح ، وحذرني من الفشل والخيبة ، وكل فرسان الملك كانوا منشغلين بالأمر وقصة هذه الشجرة ،

فلما اخبرنا البستاني ببدو صلاح الثمر بدأت نوبة الحراسة عندي ، فكنت أجلس بين أغصان وأوراق الشجرة من المساء حتى الصباح ، وكان البستاني يتفقدني طول الليل بالطعام والشراب حتى كبر الثمر ونضج وتعين وقت القطاف ، وفي ذات ليلة وبعد نصف الليل وبينما أنا أجلس على جذع شجرة والقنديل معلق على أحد الأغصان إذا بامرأة جميلة تحت الشجرة وهي تقول : طال الانتظار يا فارسي الجميل! .. صبرت فنلت أيها الفارس الحبيب!.. أنا حبيبتك "زهرة" أنا الجنية "زهرة" ، لقد أعجبتني فصممت على الاقتران بك، إذا وجدتني أهلا لقلبك وعينيك.. وفعلت هذا الأمر لأجعل منك فارس الملك الأوحد بأنك استطعت أن تحافظ على شجرة السلطان .. يا أسيادي! لقد سحرتني بجمالها الفتان، وعيونها الساحرة ، وكلامها المعسول، فوقعت في غرامها وعشقتها، وأصبح ملتقانا كل ليلة عند الشجرة بعد منتصف الليل ، ونغرف من سكرات الغرام والهوى حتى حان وقت قطف الثمار بعدما نضجت نضجا تاما ، وفرح السلطان فرحا عظيما لمحافظتي على تفاحته الخاصة ، وكافأني مكافأة مجزية ، وكانت جنيتي زهرة قد هيأت لنا قصرا جميلا ، لا أعلم في أي بقاع الدنيا يوجد ، فلما ازداد لهيب الهوى في أبداننا وأرواحنا اتفقنا على الزواج ، وكان ذلك بعد أن انتهى موسم قطف التفاح ، عندما كنت أعود للبيت من عملي ، وبعد منتصف الليل تأتي حبيبتي زهرة الجنية الساحرة فتسري بي إلى ذلك القصر ، فاقضي الليل عندها حتى الفجر، ثم تعود بي لبيتي ثم أسير لمكان عملي ، وقد علم المقربون مني قصة زواجي من الجنية وأني قد منعتها من سرقة تفاحة السلطان بزواجي منها ، فكنت يا أسيادي في سعادة ما بعدها سعادة ، زوجة جميلة فاتنة ، قصر جميل ، فارس من فرسان الملك ضرغام ؛ ولكن هذا الحال كما تعلمون لا يدوم ، فبعد سنة من زواجنا السعيد، وحياتي في قصر زهرة تقاعست عن العودة للمدينة ، وأحببت أن أنظر القصر في النهار وعلى ضوء الشمس ، فطلبت من زوجتي أن أقضي بعض الأيام في القصر أمتع النظر بمباهجه وبساتينه ، فترجتني أن اكف عن هذا المطلب ، وقد قالت والدموع تملأ عينيها : يا حبيب ! يا سيدي الفارس! لنبق كما نحن ، وكما اتفقنا، لنا القصر بعد منتصف الليل حتى الفجر ..

ونهارك عند السلطان وليلك في قصر الجنية زهرة .

توسلت !ليّ أن لا أغير نمط هذا الترتيب ، وهذا الحال حتى يحين الوقت المناسب لكشف أسباب الممانعة ، فوافقت أمام دموعها وحزنها وتوسلاتها، فمكثنا على هذا الحال عدة أشهر أخرى ، ثم عزمت وصممت على معرفة القصر والتمتع بمرآه في النهار والتفرج عليه وما فيه وما به ، فبكت وبكت وأنت واشتكت ، فأبيت وعزمت، فلما رأت عزمي وتشددي ولم تجدي دموعها في ردعي قالت بعين باكية حزينة : سيدي ايهاب يا قرة العين ! سأسمح لك بالبقاء في النهار ، ولكن احذر أن تصعد إلى سطحه فتندم أشد الندم.. يا سادة ! فكأنها بهذا التحذير تغريني بالصعود إلى ظهر القصر.. فوافقت على شرطها ، فلما انصرفت تفرجت على القصر حجرة حجرة ، ونزلت حيث الرياض النضرة والأشجار العملاقة مما سر الروح والنفس إلى أن كان نهار جرتني نفسي الضعيفة إلى ظهر القصر ، فسمعت أنينا خافتا وصوت ألم ؛ فإذا غرفة وحيدة على سطح القصر ، فاقتربت منها فازداد صوت الأنين وضوحا ، ففتحت بابها ونظرت ويا ليتني ما نظرت! فقد رأيت زهرة الفاتنة معلقة على الجدار بالحبال ، وهي في أرذل حال ، وسوط معلق بجوارها ، فصحت من الهول والذهول : ويلك من فعل بك هذا ؟!

فارتفع نحيبها وبكاءها وقالت : يا سيدي نصحتك فلم تنتصح .. ورجوتك فلم تأخذ برجائي.. سأذكر لك الآن حكايتي .. فاسمع الآن وبعد فوات الأوان وقبل عودة الجلاد مرة ثانية ..

فقلت وأنا أحاول فك القيود والحبال وإنزالها إلى أرض الحجرة : تكلمي يا مولاتي الجنية ؟ فقالت ببكاء وحزن وشفقة : دعك من هذه القيود.. فلن تفكها لو مكثت الدهر في حلها يا زوجي الحبيب .. فأطرقت برأسي نحو الأرض أسمع كلامها الخطير والعجيب فقالت : لقد رأيتك أول مرة في إحدى جولاتي ، وأنت تبارز الفرسان في الميدان بحضرة الملك ضرغام ، فتسمرت في مكاني أراقبك وأنظر إليك ، فهمت بك وعشقتك أيها الفارس ! وحركت في نفسي الحب والعشق والهوى والهيام ، فكيف الوصول إليك والبوح بالسر الكبير؟ فذكرت ذلك

لصديقة مخلصة .. فأرشدتني إلى تلك الحيلة لأصل إليك .. وتكبر في عين قومك .. وحصل ما رسمناه .. واجتمعنا تلك الليلة المشهودة وتعلقت قلوبنا ببعض إلى أن فكرنا بالوصال والزواج فجهزت هذا القصر ليكون مخدع حبنا وزواجنا كما تعلم ، وكان لنا ذلك، وهذا قصر مهجور كان لأحد مردة الجان يا مولاي ايهاب ! .. وأنا جارية عند الملكة بوبا ابنة ملك صاحب باب السر ، وكنت قديما جارية عند زوجته الملكة سنديان ، فوهبتني أنا ومملوك اسمه مرجان للملكة بوبا .. وكان هذا اللعين يعشقني عشقا مبرحا ، فلما تمكن من قلب مولاتي بوبا طلب منها أن تزوجه إياي ، فاعتذرت لمولاتي ، ولم تجبرني على ذلك إلى أن عرف سرنا فذكره للملكة ـ والملكة بوبا لا تحب لجواريها مثل هذه الأفعال ـ فغضبت ونصحتني بالبعد عنك ، فلم استطع ، لقد أصبحت لك زوجة ومعشوقة ، فزاد غضبها عليّ ، ورجوتها أن تعتقني من الخدمة فأبت ، ولما علمت أنني أسكن ذلك القصر المهجور مع حبيبي وسيدي ايهاب أمرت بحبسي وجلدي صباح مساء ، وسمحت لي بالالتقاء بك في الليل حتى الصباح ، ولما أعود بعد توصيلك لبيتك يأتي مرجان اللعين ؛ ليقوم على جلدي ساعة من الزمان وتعليقي بالحبال على أن لا أذكر لك ذلك ، وإذا انكشف الحال كما حصل اليوم.. فقد قالت لي الملكة : يا زهرة .. إن انكشف سرك لايهاب فسيصاب بالمس والجنون، ولن يشفى منه إلا على يد سيدي ومولاي الأمير مالك بن قطبة بن سنان.. وسوف اصفح يومها عنكم وتعودين لزوجك ايهاب إذا وافق الأمير مالك بن قطبة على هذا الاقتران .. وقالت : ومالك هذا الآن يا زهرة فتى صغير.. فانتظري واصبري فهو لابد أن يأتي لوالدي صاحب باب السر ويخطبني منه، كما وعدتني ساحرتي الكبيرة بذلك فيا أسيادي قالت زهرة : فهذا هو الأمر والسر يا سيدي ايهاب ! وقصتي وحبي لك ، فالآن عندما يأتيني مرجان في المساء لحل وثاقي كالمعتاد سيجدك عندي ، فسيقوم بضربك وسوف تصاب بمس من الجن ولا شفاء لك بعد الله إلا على يد الأمير مالك بن قطبة ، فهو يملك كتابا فيه أوصاف الشفاء من كل داء بإذن الملك العلام .. فعليك بالبحث عنه في بلاد الدنيا ليداويك.. وإن لم تجده فاصبر فسوف يأتيك بنفسه .. وداعا أيها الزوج الغالي .. وسامحني على

ما قد سببته لك من الشقاء والتعاسة ؛ ولكني حذرتك من الوقوع في هذا الفخ ؛ لأن مولاتي وعدتني بعدم التعرض لك إلا إذا كشف سر عذابي من قبلك .. فبكينا ورثينا لحالنا ، وقد حاولت الخروج فقالت : لا حيلة لك الآن فهذا باب لا يفتح إلا من الخارج فقط .

قال ايهاب للشابين مالك وسالك : وظللننا نتحدث إلى أن أتى مرجان ، فلما رآنا معا أصابه فرح شديد ، واغلق الباب ، وطار إلى مولاته بوبا ، ثم عاد إلينا ، وكله حقد وشماتة بنا فقال بفرح : هلكت يا زهرة وأهلكت صاحبك .

فقالت وهي مشفقة عليّ من العذاب والألم : يا مرجان يا من تدعي محبتي سأدع الفارس يطلقني وأقبلك زوجا على أن تدع الفارس من دون العذاب .

فضحك بسخرية شديدة وقال : فات الأوان يا زهرة .. ستبقين في الحبس هنا إلى أن يظهر مالك ابن قطبة ، ويتشفع لك عندي مولاتي الملكة بوبا .. وكلفت أن آتيك كل يوم بالطعام ، ثم أقوم بجلدك وأفك وثاقك طول الليل وأربطك طول النهار .. ثم صفعني صفعة عنيفة يا أسيادي فقدت من قوتها صوابي ، وأصبت بالجنون وحملني ورماني في بلادي ، فصرت مجنونا أدور في الشوارع والحارات .. وأنا أصيح وأنادي على زهرة زوجتي الجنية .. وفي اليوم الذي دخلت فيه الغرفة المحبوسة بها زهرة يزداد معي الجنون وفقد الصواب ، ولقد عرضني الملك ضرغام على أطباء الدنيا فلا شفاء إلى أن يأذن الله على يدك يا سيدي مالك بن قطبة .. فأنا في انتظارك كل هذه السنوات، وبحثت عنك في مواقع شتى حتى يئست من العثور عليك ، فعدت إلى مدينة الغراب انتظرك ، كما أخبرتني زهرة بأنك سوف تمر عليّ وتعرف قصتي .. وهذه يا أولاد قطبة سيرتي وقصتي وسبب جنوني فأرجوكم ساعدوني .

وأخذ في النحيب والبكاء فقال مالك مشفقا : أقسم برب العرش إن وصلت لتلك الملكة المسماة بوبا فلسوف أساعدك يا صديق ايهاب .. اصبر مضى الكثير، وظل القليل أيها الفارس أعرفت من صاحبتك زهرة أين تكون بلاد الملكة بوبا ؟ بل أين مملكة والدها صاحب باب السر ؟

فهز رأسه نفيا عدة مرات ثم قال : ويلاه!! .. لا علم لي بذلك ، ولكن لي صديقان حالهما كحالي

لعل عندهما علم عن بلاد صاحب باب السر ، فأولهما حران في بلاد القمر مدينة البحر ، والآخر في مدينة السرو اسمه عماد الحداد .. فهذه مأساتي يا أسيادي .

فقال سالك : ابشر أيها المسكين بالفرج والشفاء القريب بمشيئة الرب العظيم .. فإلى اللقاء ..

ولسوف نتابع المسير إلى بلاد القمر التي وصلا إليها بعد أسابيع من الزمن ، فنزلا في خان ، وبعد الراحة من النصب سألا صاحب الخان عن شاب يدعى "حران" ويقال إنه مجنون .

فقال صاحب الخان : ومن لا يعرف هذا المسكين؟!.. هذا شاب كان من خيرة شباب بلدة البحر ؛ ولكن المسكين عشق جنية البحر ، فأوردته المهالك ، وجننته فأصبح مجنونا هائما بها وينتظر خروجها من البحر كل مساء ويقول : لابد أن تخرج من الماء .. مهما طال الزمن .

فقال سالك : نحن جئنا من بلاد السرو لنحاول معالجته .

فضحك صاحب الخان وقال : هو يقول إنه غير مريض ، وقد حاول أهل البلدة وأهله من قبل معالجته فما شفي ثم قال : على كل حال إن كنتم راغبين برؤيته سيذهب معكما الخادم إلى البحر في المساء لتجتمعا به .. لعلكما تنفعاه فلربما جعل المولى الشفاء على أيديكم .

حران ونورا



وفي المساء أخذهما الخادم إلى جهة البحر في المكان الذي يجلس فيه حران ، كادت الشمس أن تختفي في البحر عندما أشار الخادم إليه وقال: هذا صاحبكم الذي تنشدون والسلام .

أثنيا على همة الخادم ، وتابعا الخطوات إلى حران الذي كان يجلس على صخرة ، وينظر إلى أمواج البحر وهي تتدافع نحوها ، ولما اقتربا منه سمعاه يقول : هل تخرجين الليلة يا مولاتي ؟ هل تخرجين أيتها الحبيبة ؟ طال الانتظار !

فسلما عليه ، فصاح بهما : ماذا تريدان أيها الشقيان ؟! جئتم تضحكون مني .. نعم ، سوف تخرج من الماء ، وتأخذني إلى الأعماق .. إنها امرأتي العظيمة .

فهمس مالك بشفقة وعطف : حران ! يا أخ حران نحن غريبان ، جئنا لنسمع قصتك لعلنا نخدمك ونساعدك ..

فأخذ حران بالضحك عاليا حتى ملأ المكان ، فأقبل بعض الصيادين الذين كانوا يرفعون شباكهم وآلاتهم مسرعين فزعين وهم غاضبون من هؤلاء الغرباء، فقال سالك عندما تجمهر عليهم الصيادون : أيها الناس لا تتعجلوا علينا ، نحن جئنا نتحدث مع هذا الشاب لأمر يهمنا ويهمه، فقد أتينا من بلاد السرو لنسمع قصته مع جنية البحر لعلنا ننفعه بشيء .

فأخذ الصيادون بالضحك والسخرية وقال أحدهم : أيها الشابان الغريبان ! خير لكما أن تنصرفا قبل أن تندما .

فقال مالك : يا قوم .. تمهلوا واسمعوا ، لقد أتينا خصيصا لنرى ونقابل هذا الإنسان المسكين الذي يناجي البحر ينتظر خروج حبيبته منه .. أنا اسمي مالك بن قطبة وهذا أخي سالك بن قطبة بن سنان .

وقبل أن يجيب الصيادون على الأخوين صاح حران أمام دهشة الحاضرين : ويلاه!!.. مالك! جئت يا مالك !.. يا سيدي! يا سيدي! طال الانتظار.. طال الصبر.. لي سنوات وسنوات في انتظارك يا مالك .. أهلا ومرحبا بك يا مالك .. أيها الناس ستعود حورية البحر .. هذا الشاب سيعيد لي عروس البحر .. تفرقوا وابتعدوا .. هذا هو منـقذي ..ها هو البطل الذي انتظره قد أتى كما أخبرتني حوريتي الجميلة .

تفرق الناس ، وهم مدهوشون مما جرى لابن مدينتهم حران ، عندما عرف أسماء هؤلاء الشباب وعانق حران الأخوين وصافحهما بحرارة والتزمهما ، واعتذر لهم مما بدأ من سوء خلقه معهما فقال : معذرة أيها الأخوان الحبيبان .. أنتم تعلمون حالي أكثر من هؤلاء الجيران .

فأجابه سالك بن قطبة بعطف وحنان ورقة : لا حرج عليك أيها الأخ الفاضل.. نحن جئنا من أجل الجلوس معك وسماع قصتك على أمواج هذا البحر العظيم .. كم يحوي هذا البحر من الأسرار ؟!

بكى حران وتنهد بعمق وقال: أنا مشتاق إليكم .. مشتاق .. أنتم ستعيدون لي السعادة الأبدية مرحبا وألف مرحبا بكم .. فأنا حران صياد مثل هؤلاء الصيادين، أحببت البحر ورضيت برزق البحر قليلا كان أم كثيرا .. تعلمت هذه المهنة من والدي ـ رحمه الله ـ وتفوقت على أقراني ، وكثرت رحالاتي في البحر وإلى الجزر لصيد السمك وغيره ، ولما بلغت العشرين سنة كنت سيد البحر هنا ، وسيد كل الصيادين .. والكل يرغب بمشاركتي والعمل بصحبتي .. والكل من هؤلاء الاخوة يرغب بمصاهرتي بأخت له أو ابنة ، وكنت عازفا عن كل هذه العروض ، وأرفضها إلى أن كنا عائدين إلى هذا الرمل الذي بجوارنا متأخرين من الليل ، فذهب من كان معي لبيوتهم، وظللت هنا لحراسة الأسماك والصيد حتى الفجر ، فأنا أنام وحدي وأعيش وحدي ـ وإن كان لي أم واخوة ـ فألقيت نفسي على هذه الرمال التي أمامنا، وبينما أنا مستلق على الرمال أنظر في السماء والنجم ، وأفكر بما جرى لنا في تلك الرحلة .. سمعت خطوات تمشي على الرمل .. فجلست فإذا حسناء قادمة نحوي بثياب زاهية؛ كأنها خارجة من أعماق البحر؛ كأنها حورية البحر التي نسمع عنها ، واقتربت وأنا كنت أظن نفسي أنني أحلم بذلك ، فسمعتها تقول بدلال وصوت رخيم عذب : سيدي حران أنا الجنية نورا! لقد وقعت في هواك وعشقتك .. وأنا راغبة بك بعلا وأهلا لي .. فلا تكسفني يا سيدي حران

فصرت يا أسيادي التفت يمينا وشمالا وحولي خشيت أن أكون حالما ثم سمعتها تقول بحنان : أنت يا سيدي مستيقظ لا تحلم .. أنا وقعت في حبك فاقبلني ..

لقد سحرتني بجمالها وحسنها ، ومع كلمات الحب والعشق التي تفوهت بها عشقتها.. فكنا نمكث في الحديث والغرام وتبادل همسات الهوى حتى الفجر .. أصبحت عاشقا للبحر عشقا مبرحا .. وانتظر نصف الليل بكل شوق وصبر.. ثم أصبحت حديث الناس والأصدقاء والإخوان.. وبعد شهور من هذا الغرام والهيام اقتضى الزواج والاتصال فتزوجنا .. فقامت بتهيئة قصرا للزواج من قصور الجآن، فكانت تأتيني بالليل وتطير بي إلى القصر وعش الزواج ومع الفجر تعيدني إلى هنا إلى البحر .. فيظن الصيادون أنني خرجت من أعماق البحر من عند

حوريتي الفاتنة.. كنا سعيدين بالحب والزواج .. ويزداد العشق في فؤادي لمحبوبتي نورا إلى أن كان يوما يا أسيادي أحببت أن أنظر القصر الكبير في النهار .. فعرضت عليها أن نقضي النهار معا في هذا القصر ، فاعتذرت لي وقالت : أنا لا أستطيع .. فأنا جارية من جواري الملك قشمر بن رهوان صاحب باب السر .. فخدمتي في النهار والساعات الأولى من الليل فعندما يظنون أنني أذهب إلى النوم آتي عندك يا حبيب! ولو علم مولاي الملك بحبي لك لحكم عليّ بالموت أو العذاب الأليم .. فدعنا نبقى كما نحن أيها الحبيب .. وكانت تتكلم بألم عميق وحزن شديد وكنت أحس أن هناك أمرا خفيا .. ورغم إلحاحي أيها السادة فما ذكرت لي غير هذا الكلام .. واستمرت حياتنا ، ولكن نفسي ما زالت تلح بمعرفة هذا القصر ومشاهدته في النهار.. وفي يوم آخر قلت : مولاتي ! أريد أن أرى هذا القصر في النهار وأدور في حجراته وأنزل بساتينه وأشجاره وأطياره ، فلما رأت تصميمي فقالت لي بحزن : يا حران أخشى أن تندم ويصيبك مكروه فلنبق على حالنا حتى يسرحني مولاي قشمر من الخدمة.. ونعيش في بيت جميل في موطنك قرب البحر .. أتوسل إليك ألا تلح عليّ بهذا الطلب .. وأمام فضولي وضغطي قالت باستسلام الذبيح : يا سيدي الطيب .. هناك جني اسمه " كزورة " من فرسان الملك قشمر رغب بالزواج مني فصدته وأبيت الاقتران به .. فهو لي كاره وعليّ حاقد ويتربص بي ليهلكني عند السلطان .. وأنا قد رأيتك ذات نهار في جولة من جولاتي فأعجبتني واستحسنتك ووقع حبك في قلبي ونفسي.. وفي تلك الليلة عند البحر جئت إليك معترفا بولهي بك وبحبي لك وعرضت نفسي عليك.. فرضيت بي يا سيدي الجميل وأنا خائف عليك من القوم؛ فإن انكشف سرنا سيعاقبوننا ويعذبونك إن لم يصرعوك فالحزن الذي تراه على محياي .. هو من خوفي عليك وقد ورطتك في عشقي يا حبيب .

فأكدت لها عمق الهوى الذي يجمع بيننا وطلبت منها عدم الخوف وعدم الحزن ، وأنه لا مفر من المقدور ، ولابد أن يكشف الجن أمرنا ..وكلما صدتني عن البقاء في النهار في القصر ازداد الفضول ولهب الشوق إلى معرفة أسراره ، ولما خشيت غضبي منها قالت : حسنا يا سيدي

الصياد !.. هذا قصر لأحد مردة الجآن يهجره في الليل ؛ لأنه يعمل في خدمة الملك قشمر ويحرسه فيأتيه في النهار فإن ظللت فيه نهارا فأخاف أن يراك ، ويحصل ما لا تحمد عقباه .. فهذا سبب منعي لك البقاء فيه نهارا .

فقلت : لماذا نسكن فيه يا مولاتي أصلا ؟

ردت قائلة : هذا مسكن مؤقت حتى أتحرر من خدمة الملك قشمر ..وزوجة هذا المارد ساكن هذا القصر الكبير صديقتي وتعرف سرنا .. وهي التي عرضت عليّ قضاء ليلي فيه .. رغم ما سمعت صممت على رؤية هذا المارد من مردة الجن وقضاء النهار في القصر .

فاستسلمت لرغبتي وقالت : حسنا يا مولاي!.. امكث فيه هذا النهار ، ولكن احرص أن يراك المارد أو أحد أصحابه ، وإن نجوت منهم يا صاحبي لا تفكر بإعادة التجربة وإلا طلبت منك الفراق.. وسأقضي عمري في حسرة وندامة على بختي ونصيبي .. أرجوك يا حران أن تبقى الحبيب .

ودعتني في الصباح وكلها خوف ودموع وبكاء ، فحاولت بث الطمأنينة في قلبها فقلت : توكلي على الحي الذي لا يموت .. اطمئني يا أميرتي سأتفرج ولن يروني قطعا بمشيئة الله .

بعدما بقيت وحيدا في القصر شعرت بالخوف والقلق ببقائي من غير أنيس في مكان مجهول ، فشجعت نفسي رويدا رويدا ، ودرت أتفرج على غرف القصر غرفة غرفة ، فدهشت مما رأيت فيه من الأشياء الجميلة وصناديق المجوهرات من الياقوت والمرجان واللؤلؤ .. فطار صوابي مما رأيت من المال والثروة حتى دخلت غرفة قلت في نفسي: هذه حجرة زوجة المارد! .. فنسيت نفسي فيها من الأحجار الكريمة والعقيق وأساور الذهب ، فما شعرت الا بصوت أبواب تفتح وتغلق .. فنظرت في الغرفة ، فوجدت سريرا فدسست نفسي تحته بسرعة الخائف وأنا أهمس بين جوانحي قائلا " كأن المارد وصل القصر .. وهذه الضجة منه " انقطع نفسي رعبا ، وخفت الافتضاح ، والحق أنني آيست عن روحي .. وقد اشتد خوفي على زوجتي الجنية نورا .. فلنا أكثر من سنتين في سعادة ونعيم ، وأسكن هذا القصر المجهول ، ولا أعرف منه شيئا ، فقد استبد

بي الفضول لمعرفة ما فيه .. فهذا ما دفعني لمشاهدته بالنهار ، وضغطت على زوجتي من أجل هذا الهدف .. وبينما أنا راقد تحت السرير سمعت صوتا بالغرفة ، كان المارد يتكلم مع زوجته فسمعته يقول : صديقنا المارد شرود سيتناول طعام الغداء معنا .. فهيئ لنا طعاما لذيذا بهذه المناسبة .. سأذبح وعلا .. وربما تأتي معه حليلته .. والآن دعيني أنام ساعة من الوقت.. فلا تزعجيني .. فردت قائلة : سأجلس في البستان استنشق عبير الأزهار والأشجار .. وعندما تستيقظ وتذبح الوعل فنادني .. وأثناء هبوطي سوف أشعل الموقد .. فشرود يحب الوعول المشوية .. وخرجت من الغرفة ، وألقى المارد نفسه على السرير، وغط في نوم عميق ، وله شخير يسمعه كل من في الهند والصين .. وفكرت بالتسلل فلم استطع ، فقد هبط السرير عليّ ولامس جسدي .. فصبرت على هذا الوضع حتى نهض المارد من نومه وهو يقول : احتاج إلى سكين قوية حادة فالوعول التي عندنا ضخمة وسمينة .. وخرج فتنفست الصعداء ، ثم خرجت من الغرفة التي سحرتني بما فيها من الأحجار الكريمة والسحرية الجميلة .

غامرت بالتفرج على باقي الحجرات حجرة حجرة ، ثم صعدت عندئذ إلى سطح القصر فقادتني قدماي إلى غرفة ، فيها أنواع كثيرة من السيوف والمدى فقلت : لابد أن المارد أخذ سلاحه من هنا .. وأنا أقلب النظر يا أسيادي في هذه الأشياء المعلقة على جدران الحجرة وقع نظري على خنجر صغير بين هذه السيوف والسكاكين، فقلت لو أخذته من بين هذه السيوف ما عرفوا به.. هذا أثر أحدث الناس به ، وكسبته من حياتي مع الجن ، فتناولته وأخفيته بجيب قميصي ، ثم قلت لنفسي "أشاور زوجتي عندما نتقابل ؛ فإن أمرتني بإعادته أعدته " كنت أرى المارد وزوجته من ظهر القصر، وهما يجلسان في البستان تحت شجرة عملاقة .. وحضر صاحبهما شرود ، وأتى المساء ، ولم يخرجوا من القصر ، فانزعجت وحضرت الجنية نورا ؛ وكأنها فوجئت ببقاء القوم ، فجلست معهم ساعة من الزمان ثم خرجت من القصر ، وكنت أراقبهم عن ظهر القصر ، وقلت لابد من تدبير مكان أقضي به الليل فبحثت عن زاوية أرقد فيها ، فوجدت كومة من القش والتبن فدخلت فيها وأخفيت نفسي ونمت .. وكنت أخشى أن يصعد أحدهم في

الليل إلى السطح أو إلى غرفة السلاح فيلحظني ويكشف أمري .. ثم أمضيت ليلتي ونهاري الثاني إلى أن حضرت نورا في الليل ، وهي مصفرة اللون ، فلما رأتني سالما حمدت الله على ذلك وقالت : كم قاسيت من الخوف والقلق عليك ؟! وكان لقاء ممتعا وجميلا بعد هذه المغامرة الخطرة ، فقلت لها : حضرت أمس وانصرفت .. لقد رأيتك عن ظهر القصر تجلسين مع القوم فقالت وهي تبتسم : من عادتي قبل أن آتيك أن آمر هنا لأتأكد من ذهاب المارد إلى عمله .. فلما علمت أنهما ماكثان خفت عليك جدا ؛ ولكنني توكلت على الله وانصرفت .. فماذا فعلت أنت في هذه الفترة ؟

فقال : قضيت ساعات متعبة ومتوترة ؛ ولكني شاهدت أشياء كثيرة وجميلة من ذهب وسلاح وطيور..

فقالت نورا الجنية : يا سيدي حران ! لا تنسى وعدك لي بأن لا تفكر بقضاء نهار آخر هنا بعد هذه المغامرة المخيفة .

فقال حران : لم أنس الوعد والعهد يا قرة العين .

استمرت حياتنا سعيدة وممتعة بعد هذه التجربة بضعة أيام ، وبينما نحن نائمان؛ فإذا بالمارد دجان فوق رؤوسنا ، فصاحت جنيتي فزعة ، وتوسلت إليه أن يكتم سرها وعدم فضحها أمام الملك قشمر ، وبعد تفكير طويل قال هذا الجني : هذه خيانة كبرى يا نورا !.. وفي ذلك خطر عليّ .. فيا ليتني لم أعرف شيئا فإن عرف الملك العظيم قشمر بإخفائي هذا الأمر عنه سيقتلني أيتها الحسناء.. وأنت تعرفين الملك وغضبه .. ولكن هل زوجتي تعرف بأمركما ؟

هزت رأسها بنعم ، فقال المارد دجان : أنتم فضحتم أنفسكم الذي دفعني لهذا الكمين .. ظننت أن زوجتي تخونني وتعشق غيري .. لقد وجدت خنجرا خاصا بي عند كوم قش على سطح القصر عندما كنت أنقل به للوعول والخراف .. فتعجبت من وجوده في كومة القش ، وقد لاحظت أيضا في القش والتبن مكانا ملبدا ؛ كأن شخص نام عليه ..فشككت بأمرزوجتي ، فعملت هذا الكمين.. وكلي ظن أنك هي .. تذكرت أنا الخنجر الذي أخذته من غرفة السلاح

يوم مكثي في القصر .. والجني يتكلم عنه فقلت لنفسي أسفا: لقد سقط مني أثناء النوم ، ونسيت أمره وراح عن بالي.. لقد جنيت على نفسي .. ثم سمعت المارد يقول لزوجتي نورا : يا نورا .. هذا الأمر لابد من كشفه للملك.. فمعذرة فأنت تعرفين كزورة لو عرف بالأمر لضرني.. ولا تحملينني مالا أطيق .. فهذا أمر مصيره الانكشاف اليوم أو غدا.. وأنا لا أستطيع إخفاءه .. وقد قلبت القضية يمينا ويسارا وشرقا وغربا فلا حل عندي إلا بإخبار رئيس خدم الملك قشمر بن رهوان وهو يتصرف .

وأوثقنا بالحبال يا سادة يا كرام قبل مغادرته ، وسمعته يقول لها مرشدا : حاولي أن تصل قصتك إلى ملك من ملوك الإنس .. الملك طهمان بن زلمان الذي يملك بلاد الاغمار .. فهو صديق للملك قشمر .. هذا ما أستطيع أن أنصحك به يا نورا .

فقالت بتوسل ودموع : انقل له خبري .

فتبسم الجني دجان وقال: قصتك خطيرة أيتها الجارية !.. سأذكر الأمر لزوجتي لعلها تنقله لملك الإنس طهمان .

حضر رئيس خدم الملك بنفسه مع مجموعة من الفرسان، وأخذونا لبلاد الجآن ، وبعد حين رأيت الملك قشمر ملك هؤلاء الجآن ، وقد كان ذا هيبة وجلال وعلى رأسه صولجان وتاج من الياقوت والأحجار الكريمة ، وحبات كبيرة من الجمان، ويلبس ثيابا كأنها الذهب الأصفر والديباج ، وعلى رأسه الجنود بالرماح والبنود ، وكان يجلس على سرير يعجز عن وصفه اللسان يا أسيادي .. وسمع تفاصيل قصتي بكل صدق ، واحضروا الجنية نورا فتكلمت بالقصة ، فلم تزد على ما بينت ، ثم سمعت الملك الجبار يأمر بقتلي على هذه الخيانة والجريمة الكبرى.. وهي الزواج من تلك الجنية.. ولكن قبل أن يسوقوني لتنفيذ أمر قشمر بن رهوان دخلت الملكة بوبا ابنة الملك بأحسن اللباس والجمال الآخاذ .. فسحرت العيون فحنى القوم لها الرؤوس تحية وإجلالا والتي قالت : يا أبي الملك قشمر بن رهوان .. لا تقتلها؛ ولكن تحبس هذه الجارية ، وتوكل كزورة بجلدها كل صباح ؛ لتكون عبرة لكل جارية تخون أسيادها وتعشق من غير

إذنهم .. ويصاب هذا الفتى الأنسي بالمس والجنون إلى أن يأتي الأمير مالك بن قطبة بن سنان .. فيشفع فيهما .. وينظر في أمرهما .. هكذا قالت الساحرة الكبيرة يا مولاي! .. لأن مالك بن قطبة لا يصل إلى هذه البلاد إلا إذا رأى والتقى هذا الفتى المنحوس واجتمع به .. ثم التفتت إليّ وقالت : فيا فتى الذي يدعى "حران" امكث في مدينة البحر من بلاد القمر إلى أن يأتيك مالك بن قطبة.. فاذكر له قصتك ، وأرشده لبلادنا فليذهب بداية إلى الملك طهمان بن زلمان ملك الإنس في بلاد الاغمار ، وهم سوف يدلونه ويرسلونه لبلاد الملك قشمر صاحب باب السر .. ليتزوج من الملكة بوبا ابنة الملك قشمر .

وعندئذ تقدم أحد الجند مني وصفعني صفعة على وجهي ورأسي ، طار عقلي من قوتها ، وحملوني ورموني في بلادي مضروبا بالمس والجن والهلوسة ، فهذه قصتي مع الجن والجنية نورا

كان الوقت يقترب من الفجر ، وهم يجلسون على صخرة البحر الساحلية يسمعون قصة حران الصياد البحري..وقال سالك بعد صمت خيم على الجميع : سبحان الله ! سبحان الرحمن مالك الإنسان!..مفتاحنا إلى تلك البلاد أنت يا حران .. في أي اتجاه تقع بلاد الملك طهمان ؟

فقال حران بحزن عميق: لا أدري .. فلي أكثر من عشرين سنة في هذا العذاب والعقاب يا أسيادي .. فيا سيد مالك عاهدني على مساعدتي وعدم نسياني إذا التقيت بمحبوبتك الملكة بوبا

فقال مالك بقوة وصدق : أعاهدك يا هذا الإنسان.. فحياتنا حلقات متصلة ببعض ، وسوف نعود إليك ومعنا نورا الحبيبة أيها الإنسان .

فقبل حران قدميها وهو يقول : أنا في انتظاركم .

فقال سالك مواسيا : اصبر أيها الإنسان! ذهب الكثير وظل القليل القليل والفرج قريب بإذن الله.

لقاء نازك



وودعاه وغادرا مدينة البحر وبلاد القمر ، وسارا يبحثان عن بلاد الاغمار لرؤية الملك طهمان ، وبينها هما يقطعان الفيافي والقفار ، ويسألان عن مدينة الاغمار ، وقد طال بهم الزمان ، ومضت سنة يسيران يبحثان ؛ فإذا هم بقصر عظيم معلق على العمدان في صحراء قاحلة لا إنس فيها ولا جآن ولا طير ولا حيوان إلا هذا البناء الشاهق المعلق .. ولا مدخل له ولا باب ، وهما منهكان من ركوب الدابة فقال سالك : لا ظل في هذه الصحراء إلا تحت هذا القصر الغريب الوحيد .. فلنستريح تحته .. لعلنا نجد به أحدا من الإنس أو الجآن .

ولما وصلا إليه تركا الدابة ، وربطاها بعمود من أعمدة هذا البيت المعلق، وجلسا يستريحان ويشربان ، ثم قام سالك بجولة حول القصر المعلق لعله يجد مدخلا لهذا القصر أو نافذة أو طاقة أو شيئا يدل على أن في هذا المكان أحدا ، ووجد في الجهة الشمالية للقصر فتحة كأنها نافذة فأخذ ينادي ويصيح : يا أهل هذا المكان ! وبعد برهة من النداء طلت امرأة منها وهي تقول : من أنتم يا سادة .. ماذا تفعلون في هذا الوادي ؟!

نظر سالك لوجه المرأة باستغراب ، واستمع لصوتها جيدا ثم قال : يا صاحبة المنزل .. لماذا تسكنين وحدك في هذا القصر المعلق ؟!

فقالت : يا هذا صوتك وشكلك ما هما غريبان عني! .. هل أنا من بلاد السرو ؟

فقال بلهفة : نعم يا أمة الله .. أنا من بلاد السرو .

فقالت وكان لا يرى إلا رأسها فقط: هل تعرف مالك بن قطبة وأخاه سالك بن قطبة ؟

فقال بدهشة واستغراب : يا أمة الله أمرك عجيب! .. في هذه الأرض القفراء وتعرفين بلاد السرو .. ومالك وسالك ولدي قطبة .. فأنا سالك بن قطبة بنفسه .!

فسمعها تقول: مه.. مه!! واختفت فإذا بباب يفتح ، ويتدلى منه سلما ، وسمعها تصيح بفرح لا يصدق : اصعد يا أخي أنا أختك نازك بنت قطبة .

فقال سالك : منذ سمعت صوتك قلت لنفسي الصوت صوت نازك والوجه ووجها ولكني غالطت نفسي .. وقلت: وهل يعيش إنسان في هذا المكان هذا مسكن جآن ؟

ونادى سالك على مالك الذي أتى مسرعا بعد أن كان نصف نائم من الإرهاق والتعب ، وعندئذ وصل السلم المصنوع من الحبال إلى الأرض ، فصعدا عليه ، فكانت درجاته أكثر من ثلاثين درجة ؛ فإذا هم أمام أختهم الحبيبة التي أخذتهم بالأحضان والتقبيل والبكاء من شدة الفرح واللقاء ، ولقد كانت لحظات عاطفية ممتعة وغريبة للأخت من جهة وللأخوين من جهة أخرى وبعدما عادت السكينة للنفوس ، ولهذا الاجتماع على غير ميعاد ، والكل مشتاق لسماع أخبار الآخر فقال مالك: والله يا نازك .. نحن بشوق إليك وإلى أخبارك منذ فارقتينا .. وكيف التقينا بهذه البطحاء القاحلة؟! ..فحدثيننا عما جرى لك منذ تفارقنا على أطراف بلاد السرو .

فقالت بحب وشوق: قبل الحديث أيها الحبيبان! سأعد لكما طعاما لذيذا..فإنكما جائعان ومتعبان .

فقال سالك : يا أختاه! صبرنا كثيرا ، ونستطيع أن نصبر بضع دقائق أخرى لنسمع حكايتك ، فلنسمع أولا ثم تفعلي ما شئت.. تكلمي يا اختنا العزيزة .

فأمام رغبتهما الجامحة أحضرت لهما بعض الشراب الطيب ، ثم قالت محدثة لهم أمرها وأخبارها: لما فارقناكم ، ظللنا نسير حتى ابتعدنا عن المدن والناس؛ فإذا بجسم يهبط أمامنا من السماء ؛ فإذا هو مارد من مردة الجن يقول : يا سيدي زهمان أرسلني الوالد لمعاونتك ونقلك إلى البلاد . أنا أصابني خوف ووهن ، وتحدث صاحبي مع المارد ، ثم رجع فطمأنني وقال لي : يا نازك لي إخوان من الجن .. فسنركب على متن هذا الجني الصديق إلى بيتنا الجديد ، فلا تخافي.. وتركنا الدابة ، وحملنا المارد إلى هذا القصر ، ثم أخرج لنا السلم الذي صعدتما عليه، ودخلت أنا وزوجي هذا البيت الغريب المعلق في الهواء؛ ولكني وجدت به الأثاث والمتاع والرياش والصناديق

الكبيرة الممتلئة بالثياب ، ثم ودع زوجي المارد ، وقال له : تعال غدا ، ثم اختفى المارد ، ورفع السلم ، واغلق الباب إلا هذه الكوة التي فيه تبقى مفتوحة ؛ لسماع مناد من أصحاب زهمان فهو بيت واسع غرفه سبعة .. وفيه خزان ماء كبير وطعام وموقد النار، ويقول زهمان إنه هيئه وأعده قبل مجيئه لبلاد السرو، وقد رضيت بهذا العيش ، وفي هذه القفار، لا نرى أحدا ، أحيانا تمر من حولنا بعض الوحوش والطيور الهاربة ، فتستظل بالقصر بعض الساعات ، ثم تختفي في الصحراء تبحث عن الماء والطعام .. ومنذ فارقتكم لا أرى إلا زوجي زهمان والمارد الذي يحضر كل صباح وينقله إلى مملكة الملك طهمان بن زلمان في بلاد الاغمار ، ويعود به في الليل ، وأحيانا أخرى يغيب عن البيت بالأسبوع والشهر لدواعي الخدمة في جيش الملك طهمان ، وقد وهبنا الله طفلة جميلة وهي الآن نائمة ، ولسوف تسر وتسعد برؤية أخوالها مالك وسالك اللذين حدثتها عنهما بكثرة .. وقد حاول زوجي اختباري.. فكان مما قاله لي : يا نازك إذا مر عليك أحد مهما كان حاله وماله لا تأذني بدخوله القصر ، فكان يرسل لي بعض الناس لمحاولة الإيقاع بي ، فكنت أنظر إلى صورهم ولا أسمح لهم بالكلام معي حتى جاء يوما رجل جميل الصورة والوجه والرأس على حصان أحمر، ونادى عليّ باسمي ، فطللت من الكوة فظننته زهمان ؛ فإذا هو رجل آخر ، وإن كان الصوت صوته فسمعته يقول : أنا زوجك زهمان يا نازك .

فقلت : يا هذا ما هذه الوقاحة ؟.. وهل غشم عليّ زوجي ؟! .

فذكر اسمكما وبلاد السرو والبئر المهجورة وبوصة والملك عماد ، فقص عليّ كل ما حدث في السرو والجرة والصناديق والحزام وأشياء أخرى أعرفها.. وأمرني بإنزال السلم.. فما فعلت ؛ فإذا هو يضع على وجهه قناعا خاصا ؛ فإذا هو زهمان زوجي .. وبعدما أقسم لي أنه زهمان فتحت الباب .. وأنزلت السلم وكشف لي الأمر بأنه أتى بلادنا متخفيا ليرى مدى طاعتنا لقطبة وأنه كان يمتحن وفائي وصدقي، فعندما يأتي في المساء سوف ترونه رجلا لا يشبه زهمان الذي تعرفانه ، وكنت قد رغبت بزيارتكما بمساعدة صاحبه المارد.. فقال لي وأنا غير مصدقة : سوف يأتيان إلى هنا .. وأرى أنه قد صدق .. ومنذ دخلت هذا المكان لم أخرج منه،

وأحيانا أصعد إلى سطح البيت أنا ونعمى فهذه قصتي .

فقال مالك : زوجك مليء بالأسرار يا نازك .. ويبدو لي أنه من أبناء الملك طهمان بن زلمان .. صدقي يا أختاه لحتى الآن لم نكشف سرا من أسرار قطبة الغريب الأطوار .

فقالت : سيظهر كل شيء .. الآن سأصنع لكم طعاما.. لابد أنكم اشتقتم للطعام الذي اصنعه لكم بيديّ .. آه! كم بكيت على فراقكم وأسفت لحالكم ؟! .. فكلما أضع الطعام بين يدي زهمان أذكركم فأبكي .

خافت نعمى في أول الأمر من الغريبين ، ثم تأقلمت معهما سريعا ، وفرحت بهما.. وبعدما أكل الاخوة من طعام أختهم .. استأذنوها بالنوم ريثما يأتي زوجها، فأدخلتهم غرفة جميلة الرياش فرقدوا فيها ، وعند الغروب أتى زهمان.. فلما هبط على الأرض قال للمارد : أليس هذا جملا يا صديقي ؟!

فرد المارد بقلق : نعم جمل مربوط .. ولكن لا أحد حوله .

فقال زهمان : انظر جيدا أيها الخادم الأمين .

فتحرك هنا وهناك ثم قال : لا أرى أحدا يا سيدي .

نادى زهمان زوجته ، فدلت له السلم وقال : يا ابنة الاجواد لمن هذه الدابة ؟! .. هل من إنس مر من هنا ؟!

فقالت : أجل ، فاصعد فعندي ضيفان عزيزان مالك وسالك .

فنظر زهمان للمارد وقال : انصرف هؤلاء أصهاري اخوة الأميرة .

وصعد زهمان مسرعا وهو يقول : أين هما ؟ فأنا بشوق لرؤيتهما .

فهمست : اهدأ يا أبا نعمى ! إنهما يرقدان في النوم .

وسمع الطفلة تقول بسعادة بينة : يا أبي عندنا ضيفان يقولان إنهما أخوان لأمي .. أحدهما مالك والثاني سالك .

احتضن الأب ابنته الصغيرة ورفعها بين ذراعيه وهو يقول : إنهم أخوالك أبناء البطل قطبة ..

لقد اشتقت إليهما .. ألم أقل لك يا ابنة الاجواد إنهما سيأتيان ؟ .. فبما إنهما قد أتيا فاستعدي للرحيل وترك هذا المكان .

ولما اجتمع مالك وسالك مع زهمان كان لقاء حارا بثت فيه الأشواق ، وجرت فيه ذكرى ذكرياتهم في بلاد السرو عندما أتاهم متنكرا وسليط اللسان فقال زهمان : مرحبا بكما .. فكيف عرفتماني رغم أن هذا الشكل لم ترياه سابقا .. أكيد أختكم أسرعت بكشف ذلك لكم .

فضحك مالك وسالك وقال أحدهما : حدثتنا أختنا عن تنكرك وقناعك والآن اسمعوا حكايتنا منذ افترقنا عنكم .

وسرد الأخوان على مسامع زهمان وزوجته الحكاية من البداية إلى النهاية ، وبعد ساعات من الليل انتهى الكلام ، وقد عجبت نازك مما سمعت غاية العجب ، وقال سالك : والآن جاء دورك يا زهمان لنسمع ما عندك .. ثم تنقلنا للملك طهمان في بلاد الاغمار .

فقال زهمان : نعم ..نعم .. جاء دوري في الكلام ..فأحب أن أعرفكم بنفسي .. فأنا أيها الأخوان والدي هو الملك طهمان بن زلمان .

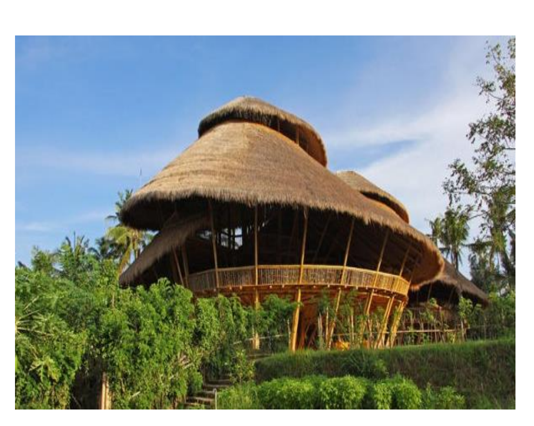
تبادل الأخوان النظر ، ثم نظرا لأختهما المندهشة للخبر، وقال زهمان : مالكم ؟

فقالت نازك : هذا الذي اعترفت به الآن قاله مالك قبل ساعات من الآن .

فقال زهمان ضاحكا: القصة قديمة قبل أن نولد جميعا .. وهي علاقة قوية بين جدي زلمان وأبي طهمان ووالدكم قطبة بن سنان.. فالذي أعرفه أن والدكم قطبة عندما ولدت نازك وهبها لأبي فاختارني طهمان زوجا لها ، وكان زواجي منها بعد وفاة قطبة كما اتفق الأبوان .. فأرسلني الوالد بعد موت قطبة بسنة لأحضر الفتاة، وامتحنها بضع سنوات .. وأنشأ لي هذا القصر وأمرني أن أنزلها فيه إلى أن تصلا إليه .. وباقي الرواية يا أخوان عند والدي طهمان .. فعنده الخبر اليقين والتفصيل الكثير.. وغدا ـ إن شاء الله ـ سيكون الرحيل عن هذا الوادي .

وفي الصباح أتى المارد لنقل زهمان للمملكة ، فأمره زهمان بإحضار بضعة من الرجال المردة لنقل القوم ، وما في القصر من متاع وأثاث .

أسرار قطبة



استقبل الملك طهمان مالكا وسالكا ونازكا استقبالا كبيرا ، ورحب بهم ترحيب الأب لأبنائه الغائبين عنه سنوات وسنوات ، وعانق حفيدته عناق المشتاق ، ثم قال : لقد طال انتظاري لكم فأهلا وسهلا بكم كلكم وشكر نازكا على الصبر والطاعة ، وطلب من زهمان القيام على استضافتهم ثلاثة أيام ، ثم التفوا حول الملك طهمان لمعرفة المزيد من الأسرار ـ أسرار قطبة ـ قال الملك طهمان : أرغب بداية بسماع ما معكم من الأخبار والأسرار . فتداول الأخوان الكلام ، فتحدثوا عن ساعات قطبة الأخيرة والبئر المهجورة والصناديق وزواج زهمان ورحيله .. وفتح الصناديق .. ومقابلة عماد الحداد وايهاب الفارس وحران الصياد .. ولما انتهوا من الكلام قال الملك : سأقول لكم قصة البطل قطبة بن سنان الذي لابد أنكم مشتاقون لمعرفة حكايته الغريبة ، وما رماكم على هذه البلاد ، وجمعكم بالملك طهمان ، وغدا بالملك قشمر بن رهوان ملك من ملوك الجآن .

فقال مالك : إي والله نحن بشوق لمعرفة هذه الأسرار يا ملك الزمان !

فقال طهمان بحماس : قطبة أخي وصديق أبي زلمان ، قطبة ترك بلاد السرو وعنده خمسة عشر عاما ، فقد تركها هاربا من والده سنان ، بعدما صرع إنسانا بطريق الخطأ ، عندما كانا يملأن الماء من بئر هناك في بلادكم ، ولكن ذلك الإنسان سقط في البئر فمات ، فهرب قطبة على أثر هذه الحادثة في الجبال والوديان ، ولقد كان والدكم قطبة ذا صورة جميلة يفتن بجماله من يراه من الرجال فكيف بالنساء العاشقات ؟! فنزل في بلدة واشتغل عند رجل كبير في أرضه أكثر من خمس سنوات مقابل الأكل والشرب والنوم عنده ، وفي إحدى المرات وهو يحفر في الأرض ضربت فأسه غطاء من الحجر العتيق .. فظن أنه وجد بئرا فيها ذهبا ، فرفع الغطاء الحجري ؛

فإذا حفرة فنزل فيها على أمل أن يجد ذهبا أو مالا فيترك العمل كأجير.. ويسافر في الدنيا قال لي : نزلت درجات كثيرة حتى دخلت نـفقا مظلما جدا ؛ ولكن مع تعودي الظلام بدأت أحسن الرؤية .. فمشيت بهذا النفق وأنا لا أدري إلى أين أسير؟! فلما وصلت نهايته وجدت نفسي أمام البحر ، فتعجبت من وجود هذا النفق .. وبعد تفكير قال : رجعت وخرجت منه ، وأغلقته وقد صممت على كشف سر هذا السرداب .. فدبرت سراجا .. وفي يوم تالي رفعت البلاطة ، ونزلت إلى النفق ومعي السراج ، ولم أسر بخط مستقيم مع السرداب سرت بالعكس فوجدت غرفة منحوتة في الصخر .. وكانت فيها امرأة مكبلة بالحبال .. فجفلت بداية منها وقلت بعد ذلك : من أنت ؟!

فقالت : يا هذا لعلك إنسي ؟!

فقلت : نعم أنا إنسان .

فقالت : ولكن كيف وصلت إلى هنا ؟!

فقلت : قدري .. ما قصتك ؟

فقالت : يا إنسي أنا فتاة من الجن .. وقد خطفني مارد طامعا بالاقتران بي رغما عني .. وأنا ابنة ملك من ملوكهم.. وبعد أن خطفني أتى بي إلى هذا المكان وأخفاني فيه .. ثم قالت : فإن أنقذتني منه فاعتبرني زوجة لك .

فقلت لها : وكيف اقتله وأخلصك منه ؟!

فقالت : هذا المارد جبار وسفاح ، ويملك سيفا صغيرا مسحورا إن سله على جيش لا يهزم .. فعندما يأتي إلى هنا يكون منهكا من التعب ، ويكون معه عجل صغير فيلتهمه فيثقل بالنوم ، فيقوم بحل بعض وثاقي لأسقيه الخمر ساعة من الزمن، فيسمعني من الكلام القبيح الفاحش والتهديد لوالدي الملك رهوان ، ثم يعيد وثاقي فيستغرق في النوم .. فأنت عندئذ اسحب السيف منه ، واقتله به .. وإن أنت نفذت هذا الكلام فاعتبرني جارية لك .

فقلت : والسيف لي أيضا ؟

فقالت : والسيف لك أيضا ، ولا تخف مني .. فقد هويتك واهتز قلبي لصورتك أيها الإنسان الجميل .

قال قطبة : فبعدما اتفقنا أطفأت السراج ، وخبأت نفسي بالسرداب إلى أن حضر ذلك المارد في الليل ومعه العجل الحنيذ والشراب المسكر، وحصل ما ذكرته الجنية، فلما سكر وأراد النوم وأعاد قيود المرأة بالحبال.. اضطجع وملأ شخيره بطن الأرض، فانتظرت ساعة حتى تيقنت أنه غط في نومه العميق .. فتسللت إلى الحجرة الصخرية ، ونشلت منه سيفه السحري ـ فهو سيف صغير ـ وبدون أن يحس ويشعر بي .. والجنية كانت تنظر إليّ بخوف وارتباك .. فأخرجت السيف من الغمد فضغطت على زر فكبر السيف وطال ، فأغمدته في صدره ، فصرخ صرخة عظيمة هزت المكان.. ظننت أن زلزلة قد حدثت ، ثم هلك المارد وعلى الفور فككت قيود الفتاة فأخذتني بالعناق وهي تقول : أنا جنيتك "عناق" .. لقد أنقذتني وأنقذت حياتي من هذا الوحش .

فصغرت السيف السحري ثم وضعته على صدري ، وطارت بي إلى بلادها ، وأخبرت والدها بالأمر فأكرمني غاية الإكرام ، ولما تأكدوا من هلاك المارد زوجوني بها، ومكثت معها سنتين، وأخبرتهم برغبتي بالرحيل والعودة لبلاد السرو .. فأعطتني شعرات من رأسها وقالت لي " إذا ضاقت بك الحال ، واحتجت إليّ احرق شعرة منها فأكون عندك في الحال" .. فلما عدت للبلد وجدت سنان ما زال عليّ غاضبا وناقما، فخرجت مسافرا مرة أخرى أتنقل بين البلاد والمدن .

وقال الملك طهمان : حتى وصل بلادنا بلاد الاغمار .. ولما دخل قطبة بن سنان بلادنا كنا نخوض حربا وقتالا مع جيوش الملك حيال ، فانحاز قطبة لوالدي ، وعرض خدمته عليه ، فشارك في المعارك حتى تحقق نصرنا على الأعداء بفضل سيف قطبة .. فأصبح له على أبي وعلينا فضل كبير وأصبحنا أصدقاء وزوجه أبي امرأة منا ، وكان من سوء حظ قطبة أن هذه المرأة كانت تعشق جنيا ، فصعب الأمر على قطبة من غدر وخيانة زوجته ، فأسر هذا الجني وأراد قتله فقال زلمان: لنصبر لنرى من ورائه يا قطبة .

وجاء وفد من قوم الجني لوالدي يطلبون جنيهم فرفض إلا أن يأتي ملكهم بنفسه، فحضر رهوان ، ولما سمع بقصة الجني الأسير وتغريره بامرأة قطبة الفارس ، ووجد أن قطبة كان زوجا لابنته ، فلما التقيا دهشا لهذا اللقاء، فتقرر أن يقتل الملك رهوان صاحبهم ، وقام زلمان بقتل المرأة الخائنة ، وأصبحت صداقة قائمة بين والدي زلمان ، والملك الجني رهوان ، ثم نشبت حروب بين ملوك الجن .. فطلب رهوان من أبي الفارس قطبة وبعض الفرسان.. فسير والدي قطبة وألف فارس للمشاركة في حروب الجن ، وبعد خمس سنوات من الحروب بين ملوك الجن خضعوا للملك رهوان ، وأصبح سيدا وملكا كبيرا ، وقد مات لنا مئات من الفرسان في هذه الحروب .. وازدادت الصحبة بيننا وبين والدي والملك رهوان ملك الجن ، وعاد قطبة بن سنان ومن ظل من فرساننا على قيد الحياة إلى بلادنا ، وألحق رهوان مائة من فرسان الجن ومردتهم بخدمة والدي زلمان ، وبعد حين طلب والدكم العودة لبلاد السرو لرؤية الأهل فأذن له أبي ، فحمله مارد من خدم والدي لتلك البلاد لمدة شهرين ثم يعود إلينا ، وفي هذه الزيارة كان سنان قد عفا عنه وسمح له بالبقاء ، فعندئذ اشترى أبوكم بيتكم المذكور وحفر الآبار وزرع الأشجار، ثم أنشأ السرداب ، فصار يقضي فصلا في بلادكم ، وفصلا في بلادنا حتى مات والدي فجلست على عرش الحكم مكانه ، وأصبح طهمان ملكا على بلاد الاغمار ، وكنا أصدقاء وأحباء وأصحاب لا نكاد نفارق بعضنا بعضا إلا بحكم الضرورة ، وبعد حين سمعنا نبأ هلاك الملك رهوان ملك الجن، فاستلم ولده قشمر الملك ، وخاض عدة حروب بعد وفاة والده لاستقرار ملكه وضد الذين خرجوا عليه ، واستعان بسيف الفارس قطبة بن سنان ، وأصبحت زوجة قطبة الجنية أخت الملك قشمر الساحرة الكبيرة في مملكة الملك قشمر بعد وفاة أمها الساحرة ، ولما عاد الهدوء لمملكة قشمر بن رهوان ، واستقرت الأوضاع عاد فارس بلادنا قطبة بن سنان للبلاد ، ثم عاد لبلاده ، فوجد أن أباه قد مات ، فحزن عليه ، ثم تزوج أمكم ، فأنجبت له مالكا ففرح بك فرحا كبيرا ، ولما بشرنا بك فرحنا له فرحا كبيرا ، ووهبنا لك كثيرا من الجواهر واللؤلؤ ، فلما علم قشمر بذلك أرسل وراءه ، وكانت له بنت ولدت منذ سنوات اسمها بوبا ،

فوهبها لمالك هدية وعرفانا بافضال قطبة ، ففرحت امرأة أبيك الجنية الساحرة ، ووضعت نصب عينيها رعايتك وتسهيل أمر زواجكما ، ووضعت لوالدك الكتاب الطبي العجيب ، وفرح قطبة بهديتها ، ولما انتهت منه أخذه أبوك ، وكما قلت كان والدكم مستمرا في التردد على بلادنا وبعد عامين أو أكثر ولد سالك ، فلما بشرني قطبة بذلك كان قد ولد لأخي ابنة فوهبتها لسالك بن قطبة ، ففرح أبوكم أيضا بهذه العطية ، وأخبرني أنه سيورث السيف السحري لسالك كما أن الكتاب الطبي لمالك .. ثم بعد ذلك بسنين يسيرة ولدت أمكم نازكا الجميلة ، فلما علمت بذلك ..أكرمني بها فوهبتها لزهمان ولدي ، هذه قصة أبيكم قطبة ، وقبل أن أنسى ، فالساحرة أخت الملك قشمر بن رهوان وزوجة أبيكم في ماضي الأيام وهبت لأختكم نازك عندما علمت بولادتها ذاك الحزام الذي تتحزم به أم نعمى ، فهو يحفظها من السحر ومن مردة الجآن ، والسيف الآن بيد سالك حسب وصية أبيه ، ومالك البكر غره الفضول وقلة الصبر فغامر وفتح الصندوق قبل وقته المحدد حسب وصية الساحرة ، فانمحت وزالت عنه الكتابة للأمر المقدر وللتعرف على الحداد عماد والفارس ايهاب والصياد حران، ولتعلموا بقصصهم ، وتصلوا لبلادنا ، ثم بلاد الجن ، وكانت الساحرة زوجة أبيكم قد أمرت الجن بحراسة البئر حتى تأخذا الكنز منه ، وقد دفع بعض الجن الكهان لتحريض ملك بلاد السرو على أخذ الكنز ، فسقط بوصة قتيلا لهم ، وفشل الملك عماد بالاستيلاء على الكنز كما طلب منه كهنته، ففشل ويئس من الأمر عندما تيقن أنه محمي بجن أقوى من جن كهنته ، ثم حاول الزواج من نازك ليوقع بكم في كيده وقد فشل ، وقد سعى لمنع زواج ولدي زهمان من أختكم نازك وهذا كله تعرفونه .. وهذه قصة أبيكم قطبة بن سنان رويتها لكم بكل صدق وأمانة ومن غير نقصان بإذن الملك العلام .. وبما أنكم وصلتم إلى بلادنا كما دبرت الساحرة لأبناء زوجها من السعادة والخيرات.. فسنحتفل بزواج الأمير سالك من ابنة أخي كما تم الاتفاق مع البطل قطبة بن سنان .. واليوم يوم الوفاء يا أولاد قطبة بن سنان.. ثم بعد ذلك نرحل لبلاد الجن ليتم زواج الأمير مالك من ابنة الملك قشمر .

فهنا قال سالك بشهامة : كلامك يا مولانا على الرأس والعين؛ ولكن قبل أن نفرح وليكمل سرورنا نحن.. فهناك ثلاثة مساكين عماد وايهاب وحران ونسائهم في بلاء عظيم.. وينتظرون رحمة رب العباد للخلاص من العذاب والأمراض .. فلنصبر حتى نخلص الرفاق من البلاء ليشاركونا الفرح بعد كل سنوات العذاب تلك .

فقال مالك بحماس : هذا يا مولانا هو عين الصواب .. فلنذهب بصحبتكم للملك قشمر بن رهوان ونحرر الشباب ونرى صاحب باب السر ونرى الساحرة امرأة أبينا ونعيد ما محي من الكتاب.. ثم نفرح بعد ذلك الفرح الكامل .

فسر طهمان من كلام الأخوين وقال مسرورا: كنت أرغب بسماع مثل هذا الجواب.. فعمل الخير ومساعدة الضعيف عمل كبير وجليل فإلى صاحب باب السر الملك قشمر بن رهوان .

خرج ملك الجن قشمر بنفسه لاستقبال الملك طهمان والوفد الذي أقبل معه ، فهم أصحاب وأصدقاء وخلان، وقد فرح الملك قشمر بولدي قطبة وترحم عليه كثيرا .. وذكر بعض مناقبه وحروبه معهم ثم قال: والدكم له علينا أفضال كثيرة .. ونحن مدينون لكم.. فمرحبا بكم في بلاد صاحب باب السر الملك قشمر بن رهوان .

واحتفى الملك بضيوفه الإنس وأقام لهم الولائم الكبيرة ، وعلمت الساحرة بمجيء أولاد زوجها ، وسعدت بلقائهم ، وسرت بهم وهي تحتفل بوصولهم ، وكانت الملكة بوبا فرحة وسعيدة بحضور زوجها الموعود الأمير مالك بن قطبة الفارس البطل المعروف ، وقد فرحت بلقائها بمالك واخوته ، وكان لقاء جميلا وهادئا ومشبوبا بالعوطف النبيلة ، وبعد أيام تحدث الملك طهمان بأمر مالك وسالك والكتاب ، فرد الملك قشمر فقال : يا مالك ! فأما أمر الكتاب فهو عند أمك الساحرة زوجة أبيك البطل قطبة ، وأمر الجنيات وأزواجهن مع زوجتك الملكة بوبا.. وسنلبي طلباتكم وحاجاتكم .

سار مالك وأخوه سالك إلى الساحرة ، وأعطياها الكتاب العجيب بالطب ، فقالت وهي تبش في وجوههم : على الرحب والسعة ـ يا أبناء الغالي ـ رحمك الله يا قطبة .. فلي مع أبيكم ذكريات

حسنة.. هل سمعتم بقصة قطبة مع الجن والملوك ؟.. وأخذت تذكر قصة المارد الذي خطفها ، ثم كيف قتله قطبة بكل شجاعة وقوة ؟ وزواجها منه ، ومشاركته في حروب الجن بسيفه السحري ، ولما انتهت من هذه الذكريات قالت: أما الكتاب فعندما تفكر بمغادرة هذه البلاد ، فستجد الكتابة قد عادت إليه كما كانت .

فشكراها الشكر المناسب وإلى الملكة بوبا مشيا ، وكانت في انتظارهم على أحر من الجمر، فرحبت بهما أحر ترحيب ثم قالت بدون حياء: ما أصعب الانتظار يا مالك! لقد عشقتك قبل أن أراك ورضيت بك بعلا من غير ممانعة.. فيا مرحبا بفارسي الجميل !

فرد مالك: أهلا بك أيتها الملكة بوبا جئت إليك راغبا بالزواج وطامعا به .. ولي عندك رجاء وهو العفو عن نورا وزهرة ونجمة وأن يذهب الداء عن أزواجهن ..وأن تسمحي لهم بحضور زواجنا في هذه البلاد .

فقالت بدون تردد : لك ذلك يا مولاي وزيادة! .. قد وقع في قلبك إنني قاسية القلب ..أو أشد من ذلك بأنني مجرمة يا سيدي مالك ! .. ولكن هذه قوانين وشريعة بلادنا .. وهي عدم زواج الجارية وعدم العشق والحب والخيانة أثناء سنوات خدمتها .. وهذه الشرائع قبل ولادتنا ورثناها كابرا عن كابر يا سيدي مالك .. ولا نستطيع أن نغير من قوانيننا حتى لا نفسد علينا جوارينا .. فالخادمة تتزوج بموافقة مولاتها ورضاها .. فمعذرة .

فقال مالك باسما: هذا شأنكم ! ولكن قدر لنا أن نتعرف على هؤلاء المساكين لنخدمهم .. فارغب منك يا مولاتي الملكة أن تعفي عن كل جنية .. وتحضر زوجها وصاحبها ليشاركونا الفرح .. ولا يكرهوننا ويحقدون علينا وقد وعدناهم بذلك .

فقالت : أمرك يا سيدي الأمير مطاع !.. فأنا لك جارية وفي تنفيذ أمرك راغبة وإلى غيرك من الرجال ما لي مطمع ولا طمعت.. وصبرت وانتظرت مجيئك بفارغ الصبر يا سيدي الأمير.. فأتمنى أن أحقق لك السعادة التي يمكن للمرأة أن تقدمها إلى زوجها الحبيب.. فعمتي الساحرة عاشت سنوات مع أبيك .. وهي لم تتزوج منذ افترقا .. وما زالت وفية له.. وتحبكم أكثر مني

إن لم أكن مبالغا في ذلك .



في ليلة حارة ، والقمر البدر يسطع نوره على البحر ، والصيادون منهمكون في عملهم وإصلاح قواربهم وتجهيزها للصيد ، وفي تلك الليلة كان يجلس حران الصياد الماهر صاحب الجنية نورا على صخرته المعهودة ، ينظر إلى البحر إلى الرمال التي كان يجلس عليها مع معشوقته الجنية ، وبينما هو ينظر في أعماق البحر في تلك الليلة منتظرا خروج جنيته حالما بمجيئها ؛ فإذا به يرى فتاة قادمة بثوبها الجميل الزاهي قادمة من صوب الماء تركض ركضا خفيفا فاتحة ذراعيها، تردد بصوت هامس جميل : حران .. حـ...ران .. يا زوجي الحبيب ..يا زوجي الصابر !

فلما رآها قفز عن الصخرة يركض نحوها ، ويصيح بأعلى صوته : جميلتي نورا .. نورا .. أيتها الزوجة الحبيبة .. قد عدت .. قد عفت عنك الملكة بوبا ..

وتشابكت الأيدي، وارتفع النحيب والبكاء، والتف الصيادون حولهم كالحلقة، وهم مستغربون من هذا المشهد.. ويتساءلون هل هذا حلم أم حق ؟! وقد تركوا أعمالهم وصيدهم فقد ظنوا أن ساعة الجنون أتت حران .. ولكنهم رآوه يقف مع حورية البحر حورية بيضاء.. ويبكي وهي تبكي مثله .. ونسي العاشقان الزوجان من حولهما ..واستفاقا على صياح القوم فصاح حران : يا قوم .. هذه حوريتي نورا .. زوجتي الجنية التي كنت انتظر عودتها وخروجها من البحر .. فها هي قد خرجت .. والتفت إليها وقال : آنا في علم يا نورا ؟

فقالت : نعم ، يا زوجي الحبيب انتهى العذاب.. لقد عفت عنا الملكة بوبا .. وأمرتني بالاجتماع بك لأخذك إلى بلاد باب السر .. فهناك مالك ينتظر ليزيل عنك السقم .. وما ألم بك من المس والجن .. لقد عفت الملكة عني .. وباركت زواجنا، وأعفتني من خدمتها طاعة للأمير مالك بن قطبة الشاب النبيل .

فقال فرحا جذلا : أحقا ما أسمع يا زوجتي ؟!

همست: نعم ، فلنحيا سعداء في بلاد القمر .. في مدينة البحر مع هؤلاء الصيادين.

فصرخ بقوة : أيها الصيادون !.. أيها الصيادون! .. لقد عادت حوريتي التي حدثتكم عنها.. فاخبروا الناس كلهم أن حورية حران قد عادت إليه .. وأن حران سيعود للبحر.. للصيد ، ولن يفرق بيننا يا نورا إلا الموت .. وهكذا أيها الناس انتهت مأساتي وعذابي ..



أما الفارس ايهاب فإنه كان يجلس عند الحانوتي وهاج كعادته ، وفجاءة وقبل الغروب لشمس ذلك النهار .. وقبل أن يغادر الحانوتي إلى بيته قال ايهاب : يا وهاج العزيز .. أشعر بأنني سأرى سيدتي زهرة .. جنيتي زهرة .. أشعر بروحي تتحرك في جسدي ..!!

فقال الحانوتي بأسف وشفقة : يا مسكين .. دعك من هذا الكلام .. فجنيتك يا ولدي قد جننتك وصيرتك إلى هذه الحال المشفقة .

فتـنهد ايهاب الفارس وقال : يا سيدي .. لا تقسو عليّ في الكلام .. دعني اخرج .

وأزاح الحانوتي من طريقه ، واندفع خارجا ؛ فإذا امرأة مقنعة تقول : يا صاحب الحانوت .. أعندك ايهاب؟

فتسمر ايهاب في مكانه عندما سمع اسمه وسمع صوت المرأة وهتف قائلا : ويحك يا امرأة فصوتك صوت زهرة !

فرفعت القناع عن نفسها وقالت صائحة : من ؟!.. زوجي وسيدي ايهاب؟! .. حبيبي الذي أشقيته معاي !

وعاد يصيح من هول المفاجأة وهو غير مصدق : من ؟! أنت زهرة ؟! أحقا أمامي زهرة ؟!

يا صاحب الحانوت هذه زهرة الجنية !.. ألم أقل لك أنني أشعر وأحس بأنني سأرى سيدتي زهرة قرة العين !

فقالت بحنان وحب: نعم ، أنا معشوقتك زهرة .. لقد عفت عني الملكة بوبا يا ايهاب الحبيب.. وأذنت لي بالاجتماع بك وتجديد زواجنا .. وأن أحملك إلى بلاد صاحب باب السر لتقابل الأمير

مالك بن قطبة الفاضل الكبير .. ليزيل السقم عنك .

فصاح جذلا : أصحيح ما تقولين يا زهرة السنين ؟!

فقالت وهي مشفقة : صحيح ما أقول.. وسوف تتعافى مما ألم بك من الجنون، ونسكن في بلاد الشمس في مدينة الغراب.. زوجان حبيبان سعيدان لا يفرق بيننا إلا الموت يا سيدي!

فقال بوله وشوق : ما أحلى كلامك يا زهرة القلب وما أجمله !! وما أحلى اللقاء بعد طول الفراق .. الحمد لله على نعمه ..

فقالت بشفقة وحنان : اعف عني يا سيدي! بما سببته لك من هذه الآلام ، كل هذه السنوات لقد كنا في عذاب وعقاب ..

فقال : سامحتك يا سيدتي .. لا عليك يا زوجتي .. فكل سعادة ولذة في هذه الدنيا سيتبعها أذى وشقاء.. وقد تطول وقد تقصر يا زهرة الفؤاد ..



وأما الفتى الثالث صاحبنا عماد الحداد.. تأخر به العمل في الدكان ، فقال لكلب والغلمان : أريد أن أقضي هذه الليلة هنا لعلي ألتقي بمحبوبتي الساحرة نجمة .. إن قلبي مضطرب الليلة .. انصرفوا راشدين .

فقال المعلم كلب : دعك من هذه التخيلات يا صاحبي ودعنا نوصلك للبيت .

فقال : لا بأس عليكم .. لا أدري أحس بأنني سأرى نجمة .. انصرفوا راشدين وفي الغد تعودون .

فأغلقوا الدكان ، وتركوا عمادا في الحجرة المعهودة الغرفة التي قابل فيها نجمة أول مرة ، وألقى بنفسه على السرير، وراح يحلم ويتخيل ؛ فإذا الجدار ينشق ، وتخرج منه أمام ناظريه حسناؤه الجميلة الجنية نجمة فعدل جلسته وقال : إنك جنيتي نجمة! زوجتي نجمة صورتها نفس صورتك ؟!.

فسمعها تهمس قائلة : أنا نجمة صاحبتك وحبيبتك ..

فصاح وهو يقف : ماذا تقولين؟! .. هل أنا في حلم ؟!

قالت : لا .. أنت في الحقيقة في علم.. لقد عدت إليك يا سيدي .. لقد أطلقت سراحي الملكة بوبا.. وأعفتني من خدمتها..وباركت لي زواجي بفضل سيدي الأمير مالك بن قطبة وأمرتني بإحضارك لتحضر حفل زواج الأمير مالك ، ويداويك مما أصابك بسببي .. فالعفو يا سيدي عماد على ما أذيتك به كل هذه السنين .

فبكى الحداد ، وبكت الجنية ، وأنّ وأنّت، وشكى وشكت ، ثم قال : لا عليك يا قرة العين.. هذا حال الدنيا ، فرح وترح ، وحياة وموت، سلام عليك ومرحبا بك .. آه! لقد كنت أشعر الليلة قبل بمجيئك بأني سأراك هذه الليلة .

قالت : ذهبت لبيتك وانتظرتك ، فلم تحضر .. فجئت إلى هنا لاجتمع بك وأبشرك بالفرج والسلامة ونهاية مأساتنا وفراقنا .. وسوف أسكن معك هنا في بلاد السرو من غير خوف من شداد ولا غيره .. يا سيدي عماد

فقال جذلا : على الرحب والسعة يا زوجتي العزيزة .. متى سنرحل إلى الأمير الطيب مالك بن قطبة يا أميرتي ؟

فقالت : قريبا يا مولاي الحبيب .. سنطير إلى هناك ولسوف ترى مولاتي بوبا .. إنها ملكة جميلة وطيبة رغم ما صنعت بنا من العذاب.. فقانون بلادنا شديد .. ويحرم على الجواري الزواج بغير إذن الملكة .. فهي لا تستطيع ترك التقاليد التي درج عليها الملوك والملكات ..

فقال الحداد : أنت قلبك طيب وكبير يا نجمة .. ليت مولاتك تشعر بذلك .

فقالت : صدقني أيها الحبيب أن الملكة بوبا الذي يسمع عنها وعن أفعالها يظن أن قلبها قُد من حجر .. لا ، إنها طيبة القلب وهي ستتزوج من إنسي مثلي .. ستتزوج من مالك بن قطبة ؛ ولكن كما قلت لك تقاليد وقانون البلاد قاس .. ولا يرحم.. فلا تكرهها فهي ستكون زوجة صديقك مالك بن قطبة .

فقال عماد: وهل يكره المحب؟!.. كيف أكرهها ؟! قلبي المحب لا يعرف الكره يا نجمة

القلب؟.. المهم أن نعيش بسلام وأمان .

فقالت : اعلم يا سيدي أن الجنية إذا خرجت من خدمة الأسياد فلا دخل لهم بها ألبته .. فنحن سنعيش بإذن الملك العلام سعيدين ولا يفرق بيننا سوى الموت .

فقال وهو يحلم : أرجو ذلك .

****

هذه قصة الشباب الثلاثة ، وما أصابهم من البلاء بسبب العشق والغرام من بنات الجآن ، ولكن رحمة الرحمن تدرك المخلوقات في كل أوان ، وتزوج الأمير مالك ، كما هو مقرر من الملكة الجنية بوبا عن عطية الملك قشمر بن رهوان بحضرة الملوك والأمراء ، وكان زواجا مشهودا من ملوك الجآن ، ومن الملك طهمان صاحب السلطان في بلاد الاغمار، ثم تزوج الأمير سالك من ابنة أخ الملك طهمان بن زلمان، واحتفظ مالك بالكتاب ، واحتفظ سالك بالسيف السحري ، وعمت الأفراح البلاد ، ثم تنازلت الملكة بوبا عن الملك لأختها ، وسافرت مع زوجها إلى بلاد السرو بما حملت من المال والثياب ، وحصل لسالك مثل مالك ، ولما وصلوا الدار القديمة دار قطبة الفارس ، أتى الصناع وحسنوا المنزل ، وشيدوا على أرضه بناء جديدا ، فعادت الحياة لبيت قطبة المهجور منذ سنوات ، وسمع الملك عماد بأخبار مالك وسالك ، فجاء إليهما مباركا ومهنئا، وألحقهما بخدمة الديوان ، فاعتذرا وشكرا له اهتمامه بهما ، وحدثوه عن كنز البئر المهجورة فقال معقبا : ويحكما إنكما داهيتان! .. فعموما قصري مفتوح لكما في كل أوان .

فأصبحوا من سادة البلاد ، ويعم منزلهم الغريب والقريب ، وتعهدا بالإحسان للفقير والغني وعمل المعروف مع الصديق والعدو ، فأصبحت سيرتهم على كل لسان ، واشتغل مالك في صناعة الحبال ، وقام سالك بفتح دكان للحدادة كما كان ، ونساؤهما تعنيان بالبستان، وقد زارهما زهمان وزوجته نازك وبينهما طفلان نعمى وسلمى، وزاروا الملك في ديوانه ، وذكره زهمان بيوم تزوجه الأميرة نازكا، وغضب الملك عليه ثم قال له : أين الوزير يا نادرة الزمان؟!

فضحك الملك وقال: أما زلت تذكره ؟.. فهو موجود وما زال على كرسي الوزارة معدود

ومحسوب .

وأمضوا سهرة طيبة مع الملك، ثم عادوا لمنزلهم الجميل، وقد تعجب الجيران والأقارب من حسن صورة زوج نازك ، وهنئوها بهذا الزوج بعدما عرفوا أنه أمير ابن ملك عظيم ، وسمع الناس في بلاد السرو قصة قطبة بن سنان وحياته عند ملوك الجآن وحروبه معهم ، فكانت حكاية يتوارثها الناس جيلا بعد جيل ، ويتسلون بها في ليالي السمر لعلهم يجدون فيها عبرا وثمرا ، وهي تسلية للنفوس في لحظة ملل وفتر، ونستغفر الله من زلل اللسان وسوء البيان ، ونسأل الله حسن الختام ، ونعوذ به من الفتن وسوء الحال والمآل ، وهذه الحكايات كأنها أحلام وأوهام .

تمت

قصص وحكايات الفوارس			
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

قطبة بن سنان

صاحب ورافق الجن وسرواتها

وحصل على كتاب الدواء السحري

وجمع كنزا من حروب الجن

وخطب لولديه من بنات الجن

فسعى سالك ومالك للقاء

الحداد والفارس إيهاب والبحار حران

ومعرفة قصصهم مع الجنيات

ومساعدتهم للعودة للجنيات بعد حياة العقاب

فما هي أسرار قطبة؟